وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر (2)

كليــة اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية

قسم اللغة العربية وآدابها

# إضافات ابن جنّي للدرس الصوتي

## من خلال كتابه "سرّ صناعة الإعراب"

مذكــرة لنيــل شهــادة الماجستيــر

تخصّص: الدّراسات اللغوية

**إعــداد الطــالــب:**

دحمان تارڤي

السنة الجامعية

2015 - 2014

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر (2)

كليــة اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية

قسم اللغة العربية وآدابها

# إضافات ابن جنّي للدرس الصوتي

## من خلال كتابه "سرّ صناعة الإعراب"

مذكــرة لنيــل شهــادة الماجستيــر

تخصص: دراسات لغوية

**إعـــداد الطالب**:

دحمان تارقي

**السنة الجامعية**

**2015 – 2014**

**إشراف الدكتورة**:

حفيظة جنّيح

**أعضاء لجنة المناقشة**

أ.د/ محمد العيد رتيمة.....رئيسا

د/ حفيظة جنّيــح.....مقرراً

أ.د/ أحمد حسانــي.....عضوا

أ.د/ فطيمة ولد حسين هيشور.....عضوا

﴿...إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ...﴾

صدق الله العظيم، سورة العلق، الآيات: 3،4،5.

# شکر و تقدیر

# شكر وتقدير

**الشكر لله أولا الذي وفقني وأمدّني العون والقدرة على إنجاز هذا البحث، والشكر له ثانيا على ما أنعم به عليّ أن حباني بمشرف كريم فاضل أعني بذلك الدكتورة حفيظة جنّيج التي تكرّمت برعاية هذا البحث وتوجيهه وتقويمه، فلم تبخل عليّ بنصائحها وإرشاداتها، ولم تدّخر جهدا ليخرج هذا العمل إلى الوجود فلها منّي كل التقدير وخالص الشكر**

**كما أتقدم بالشكر إلى كل الأساتذة الأفاضل**

**ولا يسعني أخيرا إلاّ أن أتوجه بالشكر لكلّ من قدم لي يد العون للقيام بهذا البحث. من قريب أو من بعيد والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.**

# إهـــــداء

# إهـــــداء

**إلى والديّ الكريمين حفظهما الله وأدام لهما الصحة والعافية.**

**إلى اساتذتي الأفاضل، ومشايخي الكرام.**

**إلى كلّ أفراد عائلتي.**

**إلى أخي و رفيق الدّرب والصديق عبد الرحمان.**

**إلى كلّ من جمعني به مجلس علم ورياضه.**

**إلى كلّ من أحب العربية وعلومها...**

**إلى كلّ هــؤلاء أهــدي ثمرة هذا الجهــد المتــواضع.**

**دحمان تارقي**

# مقدمة

لقد بذل العرب الكثير من الجهود في خدمة لغتهم، فدرسوا كلّ ما يتعلق بها من ظواهر دراسة عميقة وشاملة في مفردات اللغة ومعانيها وصيغها وتراكيبها، تاركين بذلك إرثا لغويا ضخما يشتمل على جملة من العلوم اللغوية ومنها نذكر علم الاصوات وعلم الصرف علم النحو وعلم الدلالة وغيرها....

وعلم الأصوات هو محل اهتمامنا ومحط أنظارنا. وقد عُرف هذا العلم بالصوتيات وصار واحدا من أهم العلوم التي تقوم عليها كلّ لغة. على اعتبار أنّ أيّ لغة طبيعية تتكون أصلا من الأصوات، التي تتألف منها الألفاظ، التي قد تُنْضَمُ إلى بعضها في تناسق بموجب قوانين النحو المعيّن فتنتج جملا شتى، غير متناهية للتعبير والتبليغ عن مختلف المعاني المتجددة والمتنوعة مصداقا لقول **ابن جنّي(334-392هـ)** «أما حدّها فإنَّها أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم»([1])، ولمّا كان للصوت هذه الأهمية في علوم اللغة صار دافعا قويا ومحفزا يحرّك الباحثين في اللغة منذ العصور القديمة إلى العناية بأصواتها. فلقد أُثر عن بعض فلاسفة اليونان كأرسطو وأفلاطون ملاحظات صوتية هامة. يقول **ارسطو (322-384 ق.م)**: « الحرف صوت لا يتجزأ، وهو صوت معين ومن طبيعته في تركيب صوت معقد ذلك لأن الحيوان أيضا يصدر أصواتا لا تتجزأ ولكن لا أطلق عليها اسم الحروف وتتألف الأبجدية من حروف صائتة، ومتوسطة وصامتة والحرف الصائت هو الذي يملك صوتا مسموعا دون حركة في اللسان، أو تقارب في الشفتين والحرف المتوسط هو الذي يملك صوتا مسموعا بفضل هذا التقارب في اللسان والشفتين(...)والحرف الصامت لا يملك أي صوت...»([2]).

أمّا الهنود فقد امتاز بحثهم بالدقّة والاتساع في آرائهم الصوتية وكانوا أول من نظر إلى الدراسات الصوتية على أنّها فرع مستقل من فروع علوم اللغة.

والملاحظ من خلال مفهوم **ابن جنّي** السابق أنّه ركّز فيه على الجانب الصوتي المنطوق في اللغة إلى حدّ أنّه عرّفها بأنّها أصوات، وبذلك نجد الصوت أو الدراسة الصوتية من أهم الجوانب اللغوية التي تستحق اهتمام الباحثين.

والصوت بدوره يعرفه **الجاحظ** بقوله: «هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه

---

[1]- ابو الفتح عثمان بن جني، **الخصائص**، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ط2، ج/1، ص:33.

[2]- جورج مونان، **تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين**، ص:86، نقلا عن حميداني عيسى، **علم الأصوات الوظيفي عند ابن جني في ضوء اللسانيات الحديثة**، رسالة ماجستير جامعة تيارت، 2006م، ص:13

يوجد التأليف. ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف»([1]).

واستطاع العرب تحقيق قفزة نوعية بإسهاماتهم في الدراسات الصوتية فنالت جهودهم الحظ الأوفر والنصيب الأعلى، الذي جعل المنصفين من غير العرب يقرّون بذلك وينوّهون.

ومن هؤلاء:

- المستشرق الألماني **برغشتراسر** الذي يقول: « لم يسبق الغربيين في هذا العلم إلا قومان من أقوام الشرق، وهما أهل الهند، يعني البراهمة، والعرب»([2]).

- **فيرث** الإنجليزي الذي قال: « إنّ علم الأصوات قد نما وشبّ في خدمة لغتين مقدستين هما السنسكريتية والعربية »([3]).

- المستشرق الألماني **(أ. شاده)** في ذات الموضوع حين الحديث عن سيبويه قال «فيستحق ما قد وصل إليه من غايات علم الأصوات أن نعتبره ما أجمع على تسميته كلّ من درسه من علماء الشرق والغرب: مفخرة من أعظم مفاخر العرب»([4]).

إنّ هذه الشهادات تعدّ بصدق أوثق دليل على أنّ الدراسات الصوتية عند العرب نشأت نشأة أصيلة وتطورت تطورا ذاتيا استجابة لحاجة الناطقين بالعربية والدارسين لقواعدها؛ فقطعت بذلك شوطا كبيرا وجاءت الدراسات الحديثة مؤسسة عليه ومتممة له.

ونحن في هذا البحث نحاول إبراز بعض صنيع العلماء المسلمين ومساهماتهم القيّمة في هذا الجانب الهام من الدرس اللغوي العتيق. فضلا عن الموضوع الأساس الذي نسعى لدراسته

ومعلوم أنّ اللغة تُدرس من خمسة مستويات وهي المستوى النحوي، والصرفي، والدلالي والمعجمي، والصوتي. وهذا الأخير –كما أشرنا سابقا– قسّمه العلماء وفق المنهج المتبع إلى

---

[1]– الجاحظ (ابو عثمان عمر بن بحر) ، **البيان والتبيين**، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الجانجي بالقاهرة، مصر ط7، 1998م، ج/1، ص:79.

[2]– برجشتراسر (bergstrasser)، **التطوّر النحوي للغة العربية**، أخرجه وصححه وعلق عليه. د، رمضان عبد التواب. ص:11.

[3]– المرجع نفسه، ص: 101.

[4]– ينظر أبا سعيد السيرافي **ما ذكره الكوفيون من الإدغام**، تح. صبيح التميمي، نشر دار البيان العربي جدة، ط1/ 1985 ص38 . ونقل المحقق هذا الكلام عن مقال للأستاذ (شاده) الألماني في محاضرة له بعنوان **(علم الأصوات عند سيبويه وعندنا)**، ألقاها في قاعة الجمعية الجغرافية الملكية، ونشر بصحيفة الجامعة المصرية 1349هـ. دون ذكر الصفحة. ينظر هامش صفحة 38 المذكورة أعلاه.

1- **علم الأصوات أو الصوتيات:** الذي يدرس الأصوات من ثلاثة جوانب هي الجانب الفيزيولوجي، والجانب الفيزيائي، والجانب السمعي، دون النظر إلى وظائفها، ثم يقوم بتحليل الأصوات الكلامية لمعرفة تصنيفها، وكيفية إنتاجها، وانتقالها، واستقبالها.

2- **علم الأصوات الوظيفي أو الفنولوجي** * : وهو الذي يدرس الأصوات من حيث وظيفتها.

3- **علم الأصوات التاريخي،** ويهتم بدراسة التغيرات التاريخية في الأصوات، وتطورها عبر الازمان، حيث يقول **محمد حسين:** « تنتاب اللغات الحية تطورات أصواتية تنشأ عنها تغيرات أساسية في اللغات فيخيم عن ذلك تغيير ملحوظ بطبيعة الصيغ الكلامية، ويحدث تطوير في الوحدات التركيبية، وأهم من ذلك ما ينشأ من تغيير في الأصوات، يمكن حصره باختصار كبير في عاملين أساسيين هما: التحوّل التاريخي والتحول التركيبي»([1]).

وكان سبب عناية العرب بالدراسات الصوتية ليس تأثرا بالغرب أو محاكاة له، وإنّما كان فرعا هاما من الدراسات اللغوية التي نشأت بهدف المحافظة على كلام الله وصيانته من اللحن والتحريف. كما يقول **الزبيدي** (ابي بكر محمد بن الحسين 316هـ-379هـ): « ولم تزل العرب تنطق على سجيّتها في صدر اسلامها وماضي جاهليتها؛ حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان، فدخل الناس فيه أفواجا وأقبلوا إليه أرسالا، واجتمعت فيه الالسنة المتفرقة، واللغات المختلفة، ففشا الفساد في اللغة العربية، واستبان منه في الاعراب الذي هو حلْيها، والموضح لمعانيها؛ فتفطن لذلك مَنْ نافر بطباعه سوء أفهام الناطقين من دخلاء الأمم بغير المتعارف من كلام العرب، فعظم الاشفاق من فُشوِّ ذلك وغلبته؛ حتى دعاهم الحذرُ من ذهاب لغتهم وفساد كلامهم، إلى أن سببوا الأسباب في تقييدها لمن ضاعت عليه، وتثقيفها لمن زاغت عنه»([2]).

وممّا ينبغي الاعتزاز به أنّ علماء اللغة المسلمين قد أدركوا أهمية الدرس الصوتي وقيمته في الدراسات اللغوية، فظهر من بينهم جهابذة الدارسين وفطاحل الباحثين الذين لا يقلُّون أهمية عن مشاهير علماء الغرب في الدراسات اللغوية الحديثة ك: **فيرديناد دي سوسير**

---

*- الفنولوجيا، وهو علم وظائف الأصوات، الذي يهتم بدراسة الأصوات من حيث وظائفها ومن أعلامه رومان جاكبسون.

1- محمد حسين علي الصغير، **الصوت اللغوي في القرآن**، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ص:23.

2- الزبيدي (أبو بكر محمد بن الحسن الاندلسي): **طبقات النحويين واللغويين**، تح: محمد أبو فاضل إبراهيم، دار المعارف ط2، 1984م،ص:11

ورومان **جاكبسون**، وغيرهما

ومن هؤلاء: **ابن جنّي** (ابي الفتح عثمان)، الذي ذاع صيته في القرن الرابع الهجري بفضل الإضافات الصوتية التي جاء بها فيما يتعلق بالدرس الصوتي كونه متعلقاً باللسان العربي، لسان القرآن الكريم والمعجزة الربانية الخالدة ولسان النبوة الطاهرة ممّا أثار في أنفسنا حب الإطلاع وشحذ في عزيمتنا رغبة الاكتشاف بعد أن قرأنا عن **ابن جنّي** وتفاعله مع الدرس الصوتي، ووقفنا أمام عجائب هذا الرجل وقدراته على التغلغل في أعماق البحث الصوتي وسبر أغواره العميقة بجهوده المتميّزة، التي استطاع من خلالها تقديم إضافات إيجابية للدرس الصوتي، فأحببنا أن نغوص في بحرها بحثا عن دررها، وجمع شتاتها وتبيين فوائدها، وإظهار عبقرية **ابن جنّي** من جديد، على النحو الذي يتيسّر لنا فهمه وتحصيل فرائده.

ولقد اشتهر **ابن جنّي** بدراسته للأصوات أيّما شهرة، وأعتبر رائداً من روّاد هذا الحقل المعرفي ومؤسسيه، لذلك أردنا تسليط الضوء على هذا الجانب من خلال بحثنا هذا الموسوم بـ: **إضافات ابن جنّي للدرس الصوتي من خلال كتابه** "**سرّ صناعة الاعراب**"، وذلك لجملة من الأسباب أهمّها:

- رغبتنا في معرفة هذا الجانب من علوم اللغة العربية.
- الوقوف على دور **ابن جنّي** في الدراسات الصوتية، وإثارة الانتباه إلى إنجازاته الباهرة أمام غياب تام للوسائل المساعِدة على الدقة في بحوث زمانه.
- إثراء البحث العلمي اللغوي، بفضل إعادة بعث الدراسات وإحيائها حول إرثنا العلمي التاريخي العربي لتحديثه وتطويره.
- المساهمة، في بناء صرح المكتبة الصوتية العربية، عسى أن ينتفع منها طالب علم أو باحث في مجال هذه الروافد العلمية الدقيقة.
- وفرة المراجع، التي تعين الطلاب في اجراء بحوث ودراسات تتعلق بالموضوع.

و**ابن جنّي** من خلال ما أورده في كتابه القيّم " **سرّ صناعة الإعراب** " ينم عن عبقرية ثاقبة وذكاء حاد إضافة إلى دقّة الملاحظة وحسن التقصي، وهو الشيء الذي لفت انتباهنا وأثار

إعجابنا، فتمعّنا في إنجازاته إلى أن راودتنا جملة من الإشكالات والتساؤلات، والتي جاءت على النحو التالي:

- **من هو ابن جنّي هذا؟ وما صحة وصفه بالمفكر والفيلسوف؟ وما المنهج الذي اختاره لنفسه في العلم والحياة حتى نال هذه المرتبة المرموقة؟ وهل فعلا وجد ضالته ومكانته بين علماء زمانه لنخلص في النهاية إلى تحديد مكانة أفكاره واستنتاجاته وأثرها في الدراسات الصوتية الحديثة؟**
- **هل ما أتى به ابن جنّي يعدّ إضافة علمية للدرس الصوتي العربي فعلا ؟**
- **وهل ما أشار إليه يعدّ جديدا يستحق البحث والتمحيص، وخاصة في مثل قوله: « وما علمت أن أحدا من أصحابنا خاض في هذا الفن هذا الخوض ولا أشبعه هذا الإشباع ومن وجد قولا قاله. والله يعين على الصواب بقدرته»([1]).**
- **فإذا كان الرجل صادقا في دعواه، فهل هذا الجديد صالح لزمانه فحسب، أم هو متقاسم مع العصر الحديث، ومع مَنْ من العلماء المعاصرين ؟**

ومن ثمة، فقد ارتأينا أن تكون خطة البحث على النحو التالي :

**ـ مقدمة:**

نبيّن من خلالها أهمية الدرس الصوتي في الدراسات اللغوية، وعوامل الاهتمام به وتاريخ ظهوره، وعلاقته بعلوم اللغة ومستوياتها، وشرح مصطلحاته ... إلخ

**ـ الفصل الأول: ابن جنّي وآثاره العلمية:** وفيه سلطنا الضوء على شخصية **ابن جنّي** من خلال مبحثين على النحو التالي:

**المبحث الأول:** ترجمة **ابن جنّي.**

**المبحث الثاني:** يتناول الحديث عن مكانته العلمية، وأهم مؤلفاته، مع التركيز على كتاب "**سرّ صناعة الإعراب**"، وأسباب تأليفه، وموضوعه وأهميته.

**ـ الفصل الثاني: منهج ابن جنّي في دراسة الأصوات وتصنيفها:** ويشتمل على مبحثين هما

**المبحث الأول:** وتحدثنا فيه عن دراسة الأصوات والحروف عند **ابن جنّي** وتعريفه لها، ومن خلال ذلك وقفنا على الطريقة والمنهجية التي اتبعها **ابن جنّي** في دراسته للأصوات اللغوية.

[1]- ابن جني ، **سر صناعة الإعراب**، تح: حسن هنداوي، دار القلم دمشق، ط2، 1413هـ/1993م، ج/1، ص: 63.

**المبحث الثاني:** يتحدّث عن تصنيف **ابن جنّي** للأصوات اللغوية، واقسام هذا التصنيف حسب ما تبين لنا من خلال كتابه.

**ـ الفصل الثالث: مظاهـر التجديد عند ابن جنّي:** وفيه يكـون التركيـز علـى ما أضافه للدرس الصوتي ففي:

**المبحث الأول :** وقفنا على دراسة **ابن جنّي** للصوت والحرف دراسة صوتية بحتة، حيث ناقش فيها كلّ ما يتعلق بالصوت بدءاً بتعريفه، وتقسيمه، وكيفية حدوثه..

**وأما المبحث الثاني:** فكان الحديث فيه عن دراسة **ابن جنّي** للحروف دراسة صرفية، أين تطرّق إلى تصريف الحروف واشتقاقها، والحالات التي يأتي فيها الصـوت أصلاً أو زائـداً أو مبدلاً من غيره، ثم ما يمكن مزجه واجتماعه في كلمة واحدة من الأصوات وما لا يمكن.

**ـ الفصل الرابع: تأثر ابن جنّي بالسابقين وتأثيره في اللاحقين:**

**المبحث الأول:** تناول تأثّر **ابن جنّي** بمن سبقه، وحوصلة تلك التأثرات ومدى تفاعلها في أعماله.

**أما المبحث الثاني:** فمتعلـق بتأثيـر **ابن جنّي** في غيـره مـن الـدارسين اللاحقيـن.

**ـ خـاتمـة:**

وهي عبارة عن حوصلة لما أسفر عليه العمل من نتائج تم التوصل إليها، واستخلاصها من خلال البحث.

ولتحقيق أهداف هذا الموضوع سيكون اعتمادنا بعد الله على جملة المناهج المعتادة في مثل هذه البحوث، وهي ما يعرف حديثا بالمنهج المتكامل الذي يشمل المنهج التاريخي، والوصفي التحليلي، والمقارن ...، وهذا ما يقتضيه البحث في مثل هذه المواضيع المهمة، وذلك باستقراء تاريخها للوقوف على ما اختاره الدارسون لهـذه الظـواهـر مـن وصف، ساعين إلى تحليلها ومناقشتها بمقارنة النتائج التي توصلوا اليها.

وفيما يتعلق بالدراسات السابقة ـ التي اتخذت من أبحاث **ابن جنّي** وجهوده في دراسة الأصوات خاصةـ أراها قليلة جدّا، ومنها مثلا:

- رسالة دكتوراه **مصطفى محمد عويضة** "**ابن جنّي وجهوده في دراسة الأصوات في ضوء علم اللغة الحديث**"، جامعة عين شمس بمصر.
- عمل الدكتورة فوزية عبد الله سرير "**سرّ صناعة الاعراب في ميزان الصوتيات الحديثة دراسة مقارنة**"، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، قسم اللغة العربيةوآدابها،2001/2000م.

- مقال لـ: **محمد بلقاسم** من جامعة تلمسان بعنوان: **الدرس الصوتي ومصطلحاته من خلال "سر صناعة الإعراب" لابن جنّي**، نشـر في مجلـة الآداب واللغات، بجامعة ورقلة العدد4 ماي 2005 م.
- مقال لـ: **عبد الفتاح المصري** " **الصوتيات عند ابن جنّي في ضوء الدراسات اللغوية المعاصرة**" مجلة التراث العربي العددين 15و16عام 1404هـ/1984م.

وتعدّ هذه البحوث بالنسبة لموضوعنا روافد قيّمة غير أنّها لم تعالج إشكاليتنا بشكل مباشر ولم تتطرّق إلى نقطة رئيسة وهـي قضية الإضافات التي قدّمـها **ابن جنّي** وإبداعاته في المجال الصوتي، لهذا نعتبر بحثنا هذا حلقة متواضعة قد تضاف إلى تلك البحوث لتضفي مسحة جديدة في هذا المجال.

كما اعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع التي كان من أعظمها وأكثرها فائدة **أـ كتب التراث:** و من أهمّها إضافة الى مدونة البحث كتاب "**الخصائص**" لابن جنّي (ابي الفتح عثمان) و"**الكتاب**" لسيبويه (أبي بشر عمرو بن عثمان بن قمبر)، وكتاب "**العين**" للفـراهيدي (الخليل ابن أحمد)، و"**معجم الادباء**" لياقوت الحموي و"**فيات الاعيان**" لابن خلكان، "**بغية الوعاة**" للسيوطي (جلال الدين)،....

**ب ـ الكتب الحديثة ومنها:** "**علم الأصوات**" لكمال بشر، و" **في البحث الصوتي عند العرب**" لخليل إبراهيم العطية، و"**الدراسات اللهجية والصـوتية عند ابن جنّي**"، لحسام النعيمـي و"**التفكير اللساني في الحضارة العربية**" لعبد السلام المسدّي،...

كما أنّنا لا نزعم أنّ بحثنا هذا قد استوفى كل ما يتعلق بالدرس الصوتي عند **ابن جنّي** ولم نترك مجالاً للبحث فيما قاله خصوصا في كتاب " **سرّ صناعة الاعراب**" مدونة هذا البحث ولكـن بذلنا وسعنا واستنفدنا الجهـد لنقـدم مادة علمية عسـى أن ينتفع بها طالب علم أو باحث كما لا ندّعي لهذا البحث الكمال فهو لله وحده والنقصان من سجايانا نحن البشر ونرجو التوفيق من العليّ القدير فهو وليّ ذلك والقادر عليه.

**دحمان تارڤي**

**تمنراست في:2015/09/05م.**

# الفصل الأول

# ابن جني وآثاره العلمية

## تـوطئـــــة:

سنسعى من خلال هذا الفصل الذي يشتمل على حياة **ابن جني** وآثاره العلمية للبحث عن هذه الشخصية التي نالت مرتبة علمية رفيعة في مجال الدراسات اللغوية عموما والصوتيات خصوصا، وهدفنا من ذلك إبراز المكانة العلمية التي حظي بها **ابن جني** عبر العصور والازمان، لما له من الألقاب ما يبيّن مكانته ودوره في دفع البحث اللغوي أشواطا متقدمة، في سيرورة التطور العلمي وإن كانت مرحلته سابقة لأوانها مقارنة بالعصر الحديث الذي شهد نهضة علمية متطورة مقارنة بالعصر الذي عاش فيه "فيلسوف اللغة" كما يلقبه البعض، وستكون لنا وقفة على نسبه، ومولده وكيف نشأ وأين تربى، ثم نعرج بعد ذلك على تعلُّمه وأهم الشيوخ الذين أخذ عنهم وتتلمذ على يديهم، وصولا إلى مرحلة إبداعه والمجالات التي اشتهر فيها، وذلك من خلال التعرف على تلاميذه الذين أخذوا عنه، وما هي آثاره العلمية التي أثرى بها المكتبة العربية وغير العربية.

# المبحث الأول

# ترجمة ابن جنّي

1- نسبه

2- مولده ونشأته

3- شيوخه وتلاميذه

**1 ـ نسبه :**

هو **أبو الفتح عثمان ابن جنّي** ـ بكسر الجيم وتشديد النّون، وبعدها ياء مشددة ـ الموصلي، النحوي، المشهور. كان إماماً في علم العربية، حيث درس الأدب على يد شيخه **أبو علي الفارسي**، وهو **عثمان ابن جنّي أبو الفتح** النحوي من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف، وعلمه بالتصريف أقوى وأكمل من علمه بالنحو، والسبب الذي مكنّه من تحقيق هذه المرتبة العلمية ما ترويه كتب الأخبار من قصته مع شيخه أنّه كان يُقرِئُ النحو بجامع الموصل، فمرّ به **أبو علي الفارسي** فسأله عن مسألة في التصريف فقصّر فيها فقال له **أبوعلي** : « زَبَبْتَ قبل أن تحصرم »([1])، فكان لهذه العبارة في نفسه أثر كبير ألهب فيه حب المعرفة والرغبة في التعلم فلزمه ـ أي لزم **ابن جنّي أبا علي الفارسي** ـ من يومها مدة أربعين سنة، واعتنى بالتصريف. ولما مات شيخه وأستاذه تصدر **ابن جنّي** مكانه ببغداد([2]).

ومقولة **أبي علي** لتلميذه التي كانت المحرك الأساسي والدافع له للإنكباب على طلب العلم وتحصيله، وردت بصيغ مختلفة منها: « زببت وأنت حصرم »([3])، وهي تعني تقلّد مرتبة ومكانة لا يستحقها وليس أهلا لها، أو إدّعائه لها، وجاء في "اللسان": «حصرم الإناء ملأه عن **أبي حنيفة. الأصمعي:** حصرمت القربة إذا ملأتها حتى تضيق...»([4])، وفي هذا إشارة إلى عدم استكماله طلب العلم وتحصيله لأنّه قال: « قبل أن تحصرم»، أي أنّه لم يكمل تحصيله للعلم ممّا يمكّنه من الجلوس للتعليم.

---

[1]– مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، ط4، بيروت، لبنان، 1426هـ/2005م، ص:387، مادة " زب ب"، وهو مثل قديم، "تزبّب قبل أن يتحصرم"، إذا ادّعى حالة أو صفة قبل أن يتهيأ لها، وتزبّب فلان تزيّد في الكلام.

[2] – ينظر: السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن)، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، د ط، ج/1، ص:132.

[3] – ابن خلكان(أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد شمس الدين): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح د. إحسان عباس، دار صادر. بيروت، لبنان، ج/3، ص:246.

[4] – ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)، **لسان العرب**، د ت، د ط، دار صادر، بيروت، لبنان مج/12، ص:137.

وذكـر الأستاذ **سليمان سالم علي باقشع** فـي مذكـرته: « هـو **أبو الفتح عثمان ابن جنّي** الموصلي النحوي اللغوي، أحذق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف وصاحب التصانيف الفائقة المتداولة في اللغة»([1]).

وكان أبوه رجلاً تركياً كما ذكر صاحب الفهرست حين قال: «والد عثمان رجل تركي جندي شتيم الوجه وحشي الصورة لا علم له ولا فهم، وأنجب ابنه عثمان وكان عثمان أشقر أعور في صورته بعض التركية»([2])، وهذا ما أوردته كتب التراجم والسير وكتب الطبقات من نسبه، وكان أبوه مملوكا كما قال **القفطي:** « وأبـوه جنّي مملـوك رومي لسليمان بـن فهـد بن أحمد الأزدي الموصلي، وفي ذلك يقول **عثمان ابن جنّي:**

فإن أصبح بلا نسب *** فعلمي في الورى نسبي.
على أني أؤول إلى *** قـــروم ســـادةٍ نُجُـــبِ.
قيــاصرة إذا نطقـوا *** ارم الـدهـر ذو الخُطُبِ.
اولاك دعا النبي لهم *** كفى شرفا دعاء نبيـــي»([3]).

**2 –مولده ونشأته:**

لم يعرف تاريخ ميلاد **ابن جنّي** بدقة إلاّ ما تذكره كتب الأخبار من أنّه ولد قبل الثلاثين والثلاثمائة بالموصل، يقول **بن خلّكان:** « وكانت ولادة **ابن جنّي** قبل الثلاثين والثلاثمائة بالموصل» ([4]).

---

[1] – سليمان سالم علي باقشع، **ابن جنّي وجهوده اللغوية والنحوية** ، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإدارية والإنسانية تخصص لغة عربية جامعة العلوم والتكنولوجيا، جمهورية اليمن، صنعاء، ص:21.

[2] – أبو بكر بن خير، **الفهرست**، ص:395، نقلا عن: فاضل صالح السامرائي، **ابن جني النحوي**، مطابع دار النذير بغداد ،العراق ،1969م، ص:22.

[3] – القفطي (جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف) ، **أنباه الرواة على أنباه النحاة**، تح: محمد أبو فاضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة ، مصر، ج/2، ص:336.

[4] – ابن خلّكان، **وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان**، المرجع السابق، ج/3، ص:248.

«وقيل أنّ ولادته كانت في بدء العصر العباسي الثاني* حين استولى **بنو بويه** على بغداد سنة 334 هـ. وهذا مستبعد لأنّه صاحب **أبا علـــي الفارســـي** أربعيـن سنة وكانت وفاة **أبــو علي الفارسي** سنة 377 هـ»([1]).

فكانت ولادة **ابن جنّي** بالمـوصل كما سبـق الذكـر، وجاء في بعض الكتـب منــها (ابن جنّي النحوي) أنّه: « نشأ في الموصل** وتربى فيها ودرس على شيوخها حتى اتصل بشيخه **أبي علي الفارسي** ثم استـوطن مدينة السلام»([2])، وذُكـر في "الخصائص" أيضاً أنّه « نشـأ **ابن جنّي** بالموصل، وتلقى مبادئ التعلم فيها»([3]).

وكانت وفاة **ابن جنّي** كما أجمع على ذلك أغلب أصحاب الطبقات سنة 392 اثنتين وتسعين وثلاثمائة، يقول **ابن خلكان:** «وكانت ولادة **ابن جنّي** قبل الثلاثين والثلاثمائة بالموصل، وتوفي يوم الجمعة لليلتيـن بقيتا مـن صفـــر سنة اثنتين وتسعيـن وثلاثمائة ببغداد»([4]). فكتب التاريخ والمصادر التاريخية لم تذكر الكثير من أخبار **ابن جنّي** غير ما أوردناه وما ذُكر عن أبيه رغم شهرته والمكانة العلمية التي يتمتع بها.

وكان **لابن جنّي** ثلاثة أولاد وهم: «**علي** و**عال** و**علاء** وكلّهم أدباء فضلاء قد خرّجهم والدهم وحسّن خطوطهم، فهم معدودون في الصحيحي الضبط وحسني الخط»([5])، و يُروَى عنه أنّه كان أعورَ، والدليل هذه الأبيات المنسوبة إليه في عتاب صديق له:

---

*– يبدأ العصر العباسي الثاني بخلافة المتوكل سنة 232هـ/ 847م، وينتهي في 334هـ/ 946م، في خلافة المستكفي بالله عبد الله بن المكتفي بن المعتضد. واشتهر بالنفوذ التركي حيث برز العنصر التركي، الذي استأثر بالمناصب الكبرى في الدولة، وسيطر على الإدارة والجيش. وفيه ظهرت بوادر هذا الضعف في مستهل هذا العصر الذي تختلف ملامحه عن العصر العباسي الأول.

[1]– ابن جني (عثمان)، **سر صناعة الإعراب**، تح: حسن هنداوي، دار القلم دمشق، سوريا، مقدمة المحقق،ج/1، ص:08

**– مدينة **الموصل** هي ثاني أكبر مدينة في العراق من حيث عدد السكان بعد بغداد حيث يبلغ تعداد سكانها حوالي 3 مليون نسمة. وتشتهر بالتجارة مع الدول القريبة مثل سوريا وتركيا.

[2]– السامرائي (فاضل)، **ابن جنّي النحوي**، دار النذير للطباعة والنشر والتوزيع ، بغداد، العراق، 1969م، ص:23.

[3]– ابن جني، **الخصائص**، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، د ط، ج/1، ص:11.

[4]– ابن خلكان، **وفيات الاعيان**، المرجع السابق، ج/3، ص:248.

[5]– الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله) ، **معجم الأدباء**، سلسلة المـوسـوعات العـربية، الطبعة الأخيـرة د ت، ج/12، ص:91.

صدودك عني ولا ذنب لي دليـــل على نية فاســـــدة
فقـد وحياتـك مـا بكيت خشيت على عيني الواحدة
ولـــولا مخـافـــة ألاّ أراك لما كان فـي تركـــها فائـــدة

وقد ذكر أبو **منصور الديلمي** أبيات غير التي جاءت في "**سـر صناعة الإعـراب**" تبيّن ما به من ضرر في عينه، وقال إنّه كان شاعرا مجيدا، وكان بفرد عين، يقول:

يا ذا الذي ليس له شاهدٌ في الحبِّ معروفٌ ولا شاهده
شواهيدي عيناىَ إنّي بها بكـيتُ حتـى ذهبـت واحدة
وأعجب الأشياء أنّ التي قد بقيت في صحبتي زاهدة[1].

ولقد كان **لابن جنّي** الكثير من الرحلات وطاف بالعديد من الأمصار في البلاد العربية وربما خارجها، وجاء ذكر ذلك في الكثير من كتب الطبقات والأخبار، ففي "**الخصائص**" مثلا أنّه ذهب إلى الشام[2] وتنقـل إلى حلب[3]، وواسـط ودار الملك ولعلّـه يقصـد دار الملك في شيراز ودار المملكة للبويهيين* في شرقي بغداد، كما اتصل بسيف الدولة في حلب وتوثقت علاقته **بالمتنبي**، وخـدم أبـو الفتح من البيت البـويهي عضـد الـدولة وولـده صمـام الـدولة وولـده شـرف الـدولة وولـده بهـاء الـدولة وفي زمانه مات[4]، وكـان يلازمهـم في دورهـم ويبايتهم[5].

---

[1]– ابن خلكان، **وفيات الاعيان**، المرجع السابق، ج/3، ص:247.

[2]– ابن جني، **الخصائص**، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ج/2، ص:21.

[3]– المصدر نفسه، ج/2، ص:88.

*– ظهر **بنو بويه** على مسرح الاحداث في أوائل القرن الرابع الهجري، وأسسوا دولا انفصاليه في فارس والاهواز وكرمان والري وأصفهان وهمذان، وبسطوا هيمنة فعلية على العراق، فشاركوا الخلافة العباسية في حكمها، مع الإشارة إلى أن البويهيين ليسوا من أصل فارسي، وهم يمثلون العنصر الديلمي الذي كان يسكن في جنوبي بحر قزوين. ولعلهم مزيج من الإيرانيين والأتراك وشعوب أخرى. ينظر، د. محمد سهيل طقّوش، **تاريخ الدولة العباسية**، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط7 1430هـ/2009م، ص:220.

[4]– السامرائي (فاضل)، **ابن جني النحوي**، المرجع السابق، ص:24.

[5]– القفطي (جمال الدين)، **أنباه الرواة**، المرجع السابق، ج/2، ص: 340.

**3-شيوخه وتلاميذه:**

**أـ شيوخه:**

كان **لابن جني** الكثير من المشايخ الذين تعلّم منهم وأخذ عنهم، وكان يذكر ذلك في كتبه التي ألّفها فقد تتلمذ على كثيرين. ومن أشهر شيوخه **أبـو بكـر محمد بـن الحسـن بن مقسم** الذي قرأ عليه "**مجالس ثعلب**" كما يتضح من قوله: «قرأت على محمد بن الحسن عن أحمد بن يحي»([1]).

كما قـرأ على "**أبي الفرج الأصفهاني**" صاحب كتاب "**الأغـاني**" المشهور، وأكـدّ ذلك بقوله: «وقرأت على أبي الفرج علي بن الحسين عن أبي عبد الله محمد بن العباس اليزيدي عن محمد بن حبيب لكثيّر...»([2])، وعدَّ من شيوخه **أحمد بن محمد أبو العباس الموصلي النحوي** المعروف **بالأخفش** الذي: « كان إماماً في النحـو فقيهاً فاضلاً عارفاً بمـذهب الشافعي قرأ عليه **ابن جنّي**، وأقام ببغداد وكانت له حلقة بجامع المنصور قريب من حلقة **أبي حامد الأسفراييني** وله كتاب في تعليل القراءات السبع»([3]).

كما استفاد **ابن جنّي** من **أبي سهل القطان أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد** وكان صديقا أديبا شاعرا راوية للأدب عن **أبي العباس ثعلب** و**المبرد** و**أبي سعيد السكري** بحسب ما ذكـره **السامـرائي**([4])، ومنهم أيضا **أبـو إسحاق إبـراهيم بـن أحمد القـرميسيني**([5]) و**أبو صالح السليل بن أحمد بن عيسى ابن الشيخ**([6])، و**أبو الحسن علي بن عمرو**([7]) و**أبو بكر جعفر بن محمد بن الحجاج**([8]).

---

[1]- ابن جني، **سر صناعة الإعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:155.

[2]- ابن جني، **الخصائص**، المصدر السابق، ج/1، ص:71.

[3]- السيوطي (جلال الدين)، **بغية الوعاة**، المرجع السابق، ج/1، ص:389.

[4]- ينظر: السامرائي (فاضل) ، **ابن جني النحوي**، المرجع السابق، ص:29.

[5]- ابن جني، **الخصائص**، المصدر السابق، ج/1، ص:75.

[6]- المصدر نفسه، ص:387

[7]- نفسه، ص:80.

[8]- نفسه، ص:386.

وقال **النعيمي:** «وممّن أخذ عنهم أيضا **أبو الحسن علي بن عمرو**، وهو لا يسمي من يأخذ عنه أحيانا اكتفاء بقوله مثلا :( أنشدني بعض أصحابنا) ... وأخذ عن **قطرب** من غير أن يصل الإسناد في الغالب، فهو إمّا أن يذكره بمثل قوله: (روينا عن قطرب) بالبناء للمفعول وإمّا أن يذكـره عن طريق بعض أصحابه من غير ذكر اسمه أو اتصال إسناده كقوله: (أنشدني بعض أصحابنا عن قطرب)»([1]).

لقد أخذ **ابن جنّي** على الكثيرين، غير أن أشهرهم وأعظمهم منزلة عنده وأكثرهم ملازمة له وأخذاً منه وتأثراً به كان **الفارسي أبوعلي** العالم النّحرير صاحب الصيت في الأدب وعلوم اللغة، وذكر **أحمد أمين** أنّه فارسي الأب، عربي الأم ([2])، وذكر **السامرائي** أنّه: «ولد سنة **288هـ** في أواخر حكم المعتضد، وارتحل من بلاده إلى بغداد لطلب العلم سنة **307هـ** وسنُّه حينئذ تسع عشرة سنة، في خلافة المقتدر بالله» ([3])، وكان **أبو علي** من كبار علماء النحو الذين ذاع صيتهم وعلت منزلتهم وعظم شأنهم في ذلك الزمن.

وكثرة المشايخ تدلُّ على كثرة العلم الذي حصله وغزارتِهِ، بالملازمة وبالمجالسة، فحظي لذلك ببالغ الاهتمام، وأصبح ممّن يشار إليهم بالبنان لعلمه وفهمه، حتى قصده الطالبون للأخذ والإفادة من علمه الغزير.

**ب ــ تلاميــذه:**

لقد ذاع صيت **ابن حنّي** في أغلب البلاد العربية خاصة في بغداد حاضرة العلم والأدب وقتها، ولمّا توفي شيخه وأستاذه **الفارسي** تصدّر **ابن حنّي** مجلسه وأخذ مكانه للإقراء في بغداد فأخذ يدرس الأدب ومختلف العلوم اللغوية والنحوية، فكثر لذلك تلاميذه الذين من بينهم:

**ـ الثمانيني (أبو القاسم):** وهو من (ثمانين) بلفظ العدد: بليدة بالموصل أو قرية بنيت بعد الطوفان بناها الثمانون الذين خرجـوا من السفينة وسميت بهم([4])، وذكـر ياقـوت الحمـوي

---

[1]– النعيمي(حسام سعيد) ، **الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني**، دار الرشيد للنشر العراق، 1980م، ص:30/29

[2]– ينظر: السامرائي (فاضل) ، **ابن حني النحوي**، المرجع السابق، ص: 32.

[3]– المرجع نفسه، ص:32.

[4]– السيوطي، **بغية الوعاة**، المرجع السابق، ج/2، ص:217.

« أبـو القـاسم الثمانيني النّحـوي الضّـريـر. إمـام فاضـل وأديـب كامـل، أخـذ عـن ابي الفتح **بن جنّي** وكان خواص الناس في ذلك الـوقت يقـرأون على أبي القاسم عبـد الواحـد بن برهان الأسدي وعمومهم يقرأون على الثمانيني. مات الثمانيني في سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة في خلافـة القائـم بأمـر الله...وله مـن التصانيف: كتاب "شـرح اللمع"، كتاب "شـرح التصـريف"...» ([1]).

ـ **البصري (عبد السلام بن الحسين)** : تناقلت كتب الأخبار أنّه كان لغويا فاضلا قارئا للقرآن الكريم عالما بالقراءات، تولى ببغداد دار الكتب وحفظها والإشراف عليها، وكان شهما سخياً([2])، و أورد **القفطي** من أخباره أنّه سكـن بغـداد، وحـدّث بها عـن محمـد بن اسحاق بن عباد التمار، و جماعة من البصريين، وذكره **أبو العلاء بن سليمان** في كتاب شرحه للحماسة فقال : كان يلقب بالوجكا*، وقال عنه **علي بن الحسن التنوخي:** أنّ عبـد السلام البصري توفي في يوم الثلاثاء التاسع عشر من محرم سنة خمس وأربعمائة ،وذكر أنّه دفن بمقبرة الشونيزي عند قبر **أبي علي الفارسي** ([3]).

وقال **السيوطي:** «وأخذ عنه الثمانيني وعبد السلام البصري وأبو الحسن السمسمي»([4]).

ـ **السمسمي (علي بن عبيد الله أبو الحسن):** جاء في معجم الأدباء «هو أبو الحسن اللغوي النحوي كان جيّد المعرفة بفنون علم العربية صحيح الخط غاية في إتقان الضبط، قرأ على **أبي علي الفارسي** و**أبي سعيد السيرافي**، وكان ثقة في روايته مات في المحرم سنة خمس عشرة واربعمائة في خلافة القادر بالله ...ورأيت جماعة من أهل العلم يزعمون أن النسبة **السمسمي** أو **السمسماني** واحد يقال هذا ويقال هذا. وكان **أبو الحسن** هذا مليح الخط صحيح الضبط حجة فيما يكتبه»([5])، وقال عنه **السيوطي** أنّه « لمّا مات **أبو علي**

---

[1]– ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، المرجع السابق، ج/16، ص: 57.

[2]– ينظر: ابن الأنباري (كمال الدين عبد الرحمن بن محمد) ، **نزهة الألباب في طبقات الأدباء**، تح: ابـراهيم السامـرائي مكتبة المنار، لبنان، الأردن، ط3، 1980م، ص: 238.

*– الوجكا، لعلها الكلمة الفارسية(أوج كاه) أي السيد، نقلا عن، القفطي، **انباه الرواة**، المرجع السابق، ج/2، ص: 176.

[3]– ينظر: القفطي(جمال الدين)، المرجع نفسه، ص:176.

[4]– السيوطي، **بغية الوعاة**، المرجع السابق، ج/2، ص:132.

[5]– ياقوت الحموي، **معجم الادباء**، المرجع نفسه، ج/14، ص:848.

تصدر **ابن جنّي** مكانه ببغداد، وأخذ عنه **الثمانيني** و**عبد السلام البصري** و**أبو الحسن السمسمي**»([1]).

ـــ **الجرجاني (ثابت بن محمد):** «هـو أبـو الفتح ذكـره الحميـدي في كتاب الأندلسيين فقال: دخل الأندلس وجال في أقطارها وبلغ إلى ثغورها واجتمع بملوكها. وكان إماما في العربية متمكنا في علم العرب»([2]).

وذكر **القفطي** أنّه: «رحل في طلب العلم، ولقي العلماء، وروى عن جِلّة من أهل الرواية وكان إماما في العربية، متمكنا في علم الأدب، مذكورا بالتقدم في علم المنطق.

رحل بعد تمكنه من العلوم إلى الأندلس، وروى لهم بها عن **أبي أحمد عبد السلام البصريّ** و**أبي الفتح عثمان بن جنّي** و**أبي الحسن علي بن عيسى بن الفرج الرّبعيّ**، وروى كثير من الأدب واللغات، وأملى بالأندلس كتابا في شرح "الجُمَل" **لأبي القاسم الزجاجي...**

وكان مولده في سنة(350) خمسين وثلاثمائة، وكان قتله في ليلة السبت لليلتين بقيتا من المحرم سنة(431) إحدى وثلاثين وأربعمائة»([3]).

---

[1]– السيوطي، **بغية الوعاة**، المرجع السابق، ج/2، ص:132.

[2]– ياقوت الحموي، **معجم الادباء**، المرجع السابق، ج/7، ص: 418.

[3]– القفطي، **انباه الرواة على انباه النحاة**، المرجع السابق، ج/1، ص:299/298.

# المبحث الثاني

# مكانته العلمية وأهم مؤلفاته

1- الحياة العلمية في عصر ابن جنّي

2- ابن جنّي الأديب الشاعر

3- وفاة ابن جنّي

4- أهم مؤلفاته

5- كتاب "سرّ صناعة الاعراب"

1ـ **الحياة في عصر ابن جني:** كما هو معلوم وحسب ما ذكرته كتب التاريخ أن العالم الإسلامي في القرن الرابع الهجري عرف الكثير من الأحداث التي عصفت بالدولة العباسية جراء التغييرات والاضطرابات التي طالت العديد من المجالات السياسية خاصة، والاجتماعية عامة، غير أنّه ولحسن الحظ لم تتأثر الحالة العلمية بما كان يحيط بها من قلاقل بل العكس: « فالمملكة الإسلامية في هذا القرن كانت أعلى شأنا في العلم من القرون التي كانت قبله»([1]).

والتصدع الذي شهده العالم الإسلامي أدّى إلى ظهور إمارات وعواصم كثيرة ممّا ساعد على إنتعاش الجانب العلمي، وفي غير ما موضع بعد ما كان حكرا على العاصمة بغداد التي عرفت بأنّها منارة العلم وحاضرة الأدب، حيث أنشئت دور العلم ومراكزه في العديد من العواصم الجديدة، بفضل تغير الأوضاع على مختلف المستويات في البلاد الإسلامية إلى أن بلغ حد التّبَاري والتنافس بين هذه الإمارات في الإنشغال بالعلم وطلبه ما تَـزْدانُ به المَـوَاطِـن وتتباهى به الأمصار قال **أحمد أمين:** «تتبارى في تَجْمِيل مواطنها بالعلماء والأدباء »([2]).

وتم في هذا العصر اختلاط الثقافات بعضها ببعض، وتلاقحت الحضارات كما يؤكد **أحمد أمين:** «وتم في هذا العصر امتزاج الثقافات، فهؤلاء الفُرس والهنود يتثقفون الثقافة العربية ويُنتجون فيها، وهؤلاء وثنيو حرّان والسريانيون يغرقون البلاد بالثقافة اليونانية وهؤلاء الخلفاء يشجعون الطب والتنجيم أولاً لحاجتهم إليهما ثم ينفذ العلماء منهما إلى أبواب الفلسفة الأخرى من طبيعيات ورياضيات ...ويقتبس علماء كلّ علم من الفلسفة اليونانية ليفلسفوه من دين ونحو وصرف وبلاغة وغير ذلك»([3]).

ولقد عُنِي بالكتب وجمعها إلى درجة فاقت التصور، فكان الأمراء والأدباء والعلماء يجمعون عشرات الألوف من الكتب. وقد وصف المقدسي خزانة الكتب التي كانت في دار عضد الدولة بأنّها: « حجرة على حدة عليها وكيل وخازن ومشرف من عدول البلد، ولم يبق

---

[1]– أحمد أمين، **ظهر الإسلام**، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، مصر، ط1،2009 م، ج/2، ص:06.

[2]– المرجع السابق، ج/2، ص:06.

[3]– نفسه، ج/2، ص:14.

كتاب صنف إلى وقت عضد الدولة من أنواع العلوم إلا وحصّله فيها. وهي أَزَجٌ طويل في صفة كبيرة فيه خـزائن من كلّ وجه، وقد أُلصـق إلى جميـع حيطان الأزَجِ والخزائن بيـوت طـولها قامة في عـرض ثلاثة أذرع من الخشب المـزوّق عليها أبـواب تنحـدر من فـوق والدفاتـر منضدة على الـرفوف لكلِّ نـوع بيـوت و فهـرسات فيها أسامي الكتب ولا يدخلها إلا كلٌّ وجيه»([1]).

ومن خلال هذه الإطلالة السريعة يتضح أنّ هذه الفترة من تاريخ الأمّة الإسلامية حظيت بالاهتمام في المجال العلمي ممّا يعكس تطور هذا المجال أيّما تطور وتحقيقه قفزة نوعية يُترجمها ذلك الإنتاج الضخم والإرث النفيس الذي خلّفه الأعْلام في العلم والأدب وجهابذة الفكر من رجالات القرن في ميادين شتى.

ولقد حظي **ابن جنّي** بمكانة علمية لم يحظ بها غيره خاصة من بني عصره أو من أترابه. كما أن للبيئة التي نشأ فيها دورٌ في ذلك إذ كانت تزخر ـ بغداد ـ بالعلماء في القرن الرابع الهجري، وهو القرن الذي أطلّ فيه **ابن جنّي** على هذه الحياة، فكانت بغداد حاضرة العالم الإسلامي ومنارته حيث قصدها الطلاب وشُدّت إليها الرّحال من البلاد المجاورة طلبا للعلم والاستزادة في تحصيله، لأنّ عاصمة الخلافة وقتها كانت تزدحم بالعلماء ذوي الصيت والمكانة، وهذا ما جاء ذكره في مقدمة المحقق* لكتاب "**سرّ صناعة الإعراب**" يقول فيه: « وفي ذلك الجو الذي كان يعبق بأريج العلم، ويزخر بالأئمة الأعلام نشأ الألمعي **أبو الفتح بن جنّي** فألقي بين يديه ثـروة ضخمة مـن تـراث أسلافه في علـوم العـربية، فعكف على دارستها. ونهل منها وعلّ .وقرأها على أساتيذ كان يشار إليهم بالبنان في القرن الرابع الهجري »([2]).

---

[1]– المقدسي (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد) ، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مكتبة مدبولي القاهرة، مصر ط3،1991م، ص:457/456 .

*– الدكتور حسن هنداوي: هو أستاذ مساعد في كلية العلوم العربية والاجتماعية بجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية – القصيم–

[2]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص: 09.

وجاء أيضا في مقدمة "**الخصائص**"** :« بلغ **أبو الفتح** في علوم العربية من الجلالة والخطر ما لم يبلغه إلاّ القليل. وقد سلف قول **المتنبي** عنه: "هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس" وقد أصبح **ابن جنّي** في مجرى القرون بعده مضرب المثل في معرفة النحو والتبريز فيه ... ويقول **ابن فضل الله العمري** في مسالك الأبصار: " لم ير مثله في توجيه المعاني، وشد بيوت القصائد الوثيقة المباني". ويقول **ابن ماكولا** :" وكان نحويا حاذقا مجودا ".ويقول **الثعالبي** في "**اليتيمة**" :" هو القطب في لسان العرب وإليه انتهت الرياسة في الأدب "»([1]).

وليس بغريب أن ينال **ابن جنّي** هذه المكانة وهذا القدر من العلم، فهو الذي أُثِر عنه أنّه صَحِبَ شيخَه أربعين سنة كاملة، وكان ملازما له فيها في حلّه وأحيانا في ترحاله وحظي بشرف اعتراف أستاذه له بأستاذيّته دون زملائه وأصحابه على كثرتهم كما ورد في مقدمة "**الخصائص**".

وذكر **القفطي** في معرضِ حديثه عن أحد زملاء **ابن جنّي** وهو **العبدي** يقول: « وكان العبدي قد أدركه خمولُ الأدب، ولم يحصل له من السمعة ما حصل **لابن جنّي** و**الرّبعي** وكان كثير الشكوى لكساد سوق الأدب في زمانه »([2]).

ويُورد **ياقوت الحموي** في ترجمة **ابن جنّي** قصيدة له يُنبئ فيها بأنّه نال ما ينبغي من المكانة والمنزلة وممّا جاء فيها:

شكرت الله نعمته وما أولاه من أرب
زكت عندي ضائعة فوفقني وأحسن بي
تخوّلني وخوّلني ونوّلني ونوه بي
وأخّر من يقادمني وأعلاني وأرغم بي ([3]).

ويقول **بن جنّي** في ذكر كتبه ومؤلفاته:

---

** – من اشهر الكتب التي ألفها ابن جني، ويُعدّ من أهم المصادر في فقه اللغة وبعض علوم اللغة الأخرى.

[1]– ابن جني، **الخصائص**، المصدر السابق، ج/1، ص:24.

[2]– المصدر نفسه، ج/1، ص:25

[3]– الحموي، **معجم الادباء**، المرجع السابق، ج/12، ص:716.

تناقلها الرواة لهـــا على الأجفان من حـــدب
فيرتع في أزهارهـا ملـوك العجــم والعــرب
فمن مُغْنٍ إلى مُدنٍ إلى مُثْــن إلــى طَـــرِب

ويتمثل فضله وعمله في كتبه والمباحث التي توفرت عليها، وكيفية عرضها وتحليلها فهو يعدُّ بحق فيلسوف العربية وباقرها*. وهو كما قال عنه **الباخرزي**: « **ابن جنّي أبو الفتح عثمان**. ليس لأحد من أئمة الأدب في فتح المقفلات وشرح المشكلات ماله فقد وقع عليها من ثمرات الأعراب ولا سيما في علم الإعراب»([1]).

ويغلب على أعمال **ابن جنّي** وأبحاثه طابع الاستقصاء والتعمق كما جاء ذكره في مقدمة الخصائص: « وعلى مباحث **ابن جنّي** طابع الاستقصاء والغوص في التفاصيل والتعمق في التحليل واستنباط المبادئ والأصول من الجزئيات، وهو في هذا يشبه **ابن الرومي** في الشعر، وكأنَّما للجنس الرومي الذي ينتميان إليه أثر في هذا. ومن مباحثه التي اهتدى لها، وسبق بها "الاشتقاق الأكبر"، وإن كان استمد فكرته من أستاذه **أبي علي** وهو يقول في الخصائص في الباب الذي كسره على هذا المبحث: "هذا موضع لم يسمّه أحد من أصحابنا، غير أنّ أبا علي كان يستعين به، ويخلد إليه، مع إعواز الاشتقاق الأصغر لكنه لم يسمه وإنما كان يعتاد عند الضرورة ويستروح إليه، ويتعلل به وإنّما هذا التلقيب لنا نحن فتعلم أنّه لقبٌ مستحسن"» ([2])

وكان **ابن جنّي** لا يتوانى في مخالفة غيره ممّن سبقوه في مجال البحث والدراسة خاصة إن تمكّن من الوصول إلى ما لم يصلوا إليه، وهو ما ذكره صاحب مقدمة "**الخصائص**" **محمد علي النجار** يقول: «و**ابن جنّي** ـ مع حرصه على إتباع من سبقه وتبجيله لهم ـ لا

---

*- **باقرها**: التبقر التوسع في العلم والمال، وكان يقال لمحمد بن علي بن الحسين بن علي الباقر رضوان الله عليهم لأنه بقر العلم وعرف أصله واستنبط فرعه وتبقر في العلم، وأصل البقر الشق والفتح والتوسعة. ابن منظور، **اللسان**، مادة(بقر) المرجع السابق، ج/4، ص: 74.

[1]- الباخرزي (علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب)، **دمية القصر وعُصرة أهل العصر**، دار الجيل بيروت، لبنان تح: د. محمد التنوخي، ج/3، ص:1481.

[2]- ابن جني، **الخصائص**، المصدر السابق، ج/1، ص:26.

يبالي أن يخالفهم إذا تهدَّى لرأي لم يقولوا به واستوى له دليله، واستقرت عنده حجته. ومن ذلك ما رآه في مسألة " هذا جحر ضبٍ خرِبٍ "، وهو رأي قد خالف به السلف»([1]).

تسنّم **أبو الفتح** ذروة العربية في هذا الفن، فأقرُّوا له بالإمامة فيه فقالوا: «واعتنى بالتصريف فما أحد أعلم منه به ولا أقوم بأصوله وفروعه، ولا أحسن أحد إحسانه في تصنيفِهِ»([2])، وقال فيه بعضهم: «من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف وصنّف في ذلك كتبا أبرّ بها على المتقدمين وأعجز المتأخرين ، ولم يكن في شيء من علومه أكمل منه في التصريف ولم يتكلم أحد في التصريف أدقّ كلاما منه»([3]).

ويُروى عنه أيضا أنّه كان بارعا في الشّعر فضلاً عن علوم العربية وفنونها وهو ما ذكره **الباخرزي** متعجبا من موهبة **ابن جنّي** وعبقريّته يقول في ذلك: « من وقف على مصنّفاته وقف على بعض صفاته، فوربِّي إنّه كشف الغطاء عن شعر **المتنبي**، وما كنت أعلم أنّه ينظم القريضَ، أو يسيِّغ في ذلك الجريصَ حتى قرأت له مرثيّة في **المتنبي** أوّلها:

غاض القريضُ وأودت نضرة الأدب وصوّحت بعد ريِّ دوحة الكُتُبِ.
سُلبْتَ ثوبَ بهاء كنت تلبسه لما تُخُطِّفت بالخَطِية السُلُبِ.
ما زلت تصحب في الجُلَّى إذا نزلتْ قلبا جميعا وعَزْماً غير منشعبِ»([4]).

## 2- ابن جنّي الأديب الشاعر:

لم تكن عبقرية **ابن جنّي** وموهبته وبراعته وقدرته حكرا على علوم اللغة وفنونها فقط، بل تعدّت إلى الأدب والشعر، فكما رأينا فيما مرّ بنا أنّه كان ضليعا في علوم اللغة عموما والصرف منها خصوصاً، فله من الأدب والشعر ما لا يقل أهمية عن علوم اللغة، فلقد كان بليغاً فصيحا من كبار الخطباء في زمانه وله منها ما ذكره **الحموي** في معجمه "خطبة نكاح"

---

[1]- ابن جني، **الخصائص**، المصدر السابق، ج/1، ص:26.

[2]- الحموي، **معجم الأدباء**، المرجع السابق، ج/12، ص:91. والسيوطي: بغية الوعاة، المرجع السابق، ج/2 ص:132.

[3]- المرجع نفسه، ج/12، ص:81.

[4]- الباخرزي، **دمية القصر**، المرجع السابق، ج/3، ص:1481.

وأثبت أنّها بخط يده([1]).

كما أوتي ملكة الشاعر وحسُّهُ، فكان يجيد النظم ويحسنه، وكانت تجود قريحته بين الفينة والأخرى، فقال في الرّثاء ـ كما سبق ذكره من مرثيّة المتنبي ـ والغزل، وممّا قاله متغزّلا ما ذكره **الثعالبي** يقول فيه:

غـــزال غـير وحشي حكـــى الوحـشي مقلتـــه
رآه الـــورد يجني الـــور د فستكســـاه حلـــــته
وشـم بأنفـه الريحـــــا ن فاستهـــداه زهـــــرته
وذاقت ريقه الصهبـــا ء فاختلستـه نكهتـــــه ([2]).

ورغم ما له من الإمكانية والملكة إلا أنّه لم يكن منشغلا بالنظم إلا نادرا، وهو ما يفهم من قول **الثعالبي:** «وكان الشعر أقلّ خلاله لعظم قدره، وارتفاع حاله»([3]).

وهكذا فقد بلغ **ابن جنّي** في علوم اللغة من الجلالة والخطر ما لم يبلغه إلاّ القليل وبذلك نرى أنّه بفضل ما حباه الله سبحانه وتعالى به من قدرات عقلية واستعدادات معرفية إضافة إلى البيئة المواتية التي وُجد فيها، وما كانت تزخر به من مساعدات ومحفزات استطاع أن يكون علَماً منقطع النظير في علوم اللغة خاصة والأدب عامة، وكما جاء في مقدمة "**الخصائص**": «وقد أصبح **ابن جنّي** في مجرى القرون بعده مضرب المثل في معرفة النحو والتبريز فيه»([4]). وبهذا قد شهد له الكثير من أقطاب اللغة والأدب سواء من الذين عاصروه أو ممّن جاء بعده كما أقرُّوا واعترفوا له بالفضل ممّا يوجب الثناء.

### 3- وفاة ابن جنّي:

لقد كانت وفاة **ابن جنّي** العالم الجليل والنحوي الشهير ذو المكانة العالية والدرجة الرفيعة، في بغداد كما تذكر الروايات في زمن البويهيّين، فإرتحل عن الدنيا بعد ما بلغ فيها من العلم ما بلغ، وبذل في عطائه ما بذل وقد بلغ سبعين سنة، وكان ذلك في «يوم الخميس

---

[1]- يُنظر: الحموي، **معجم الادباء**، المرجعالسابق، ج/12، ص:93

[2]- يُنظر: الثعالبي (أبي منصور عبد الملك النيسابوري)، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، تح: د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983م، ج/1، ص:138/137.

[3]- المرجع نفسه، ص:137.

[4]- ابن جني، **مقدمة الخصائص**، المصدر السابق، ج/1، ص:24.

السابع والعشرين من صفر سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة» ([1])، وكان لهذا الوقع الجلل أثر كبير على من عرفوه وأدركوا قدره، وقد رثاه **الشريف الرضي**([2]) في قصيدة من ديوانه استشعارا لفقدانه جاء فيها:

لتبكي أبا الفتح العيون بدمعها والسننا من بعدها بالمناطق
اذا هبّ من تلك الغليل بدامع تسرع من هذا الغرام بناطق
شقيقي اذا التأث* الشقيق واعرضت خلائق قومي جانبا من خلائقي
كأنّ جناني يوم وافى نعيه فريّ اديمٍ بين أيدي الخوالق**

غير أنّ **ابن جنّي** ما يزال حيا بيننا بما خلفه من آثار يستحيل نسيانها والإقلال من شأنها رغم أنّه فارق الحياة.

## 4ـ أهم مؤلفات ابن جنّي:

لقد توفي **أبو الفتح عثمان ابن جني** مخلفا وراءه إرثا عظيما لا يقدّر بثمن، ويقول الدكتور **حازم الحلي** في ذلك: « بارك الله في عمر **أبي الفتح عثمان ابن جنّي**، فعُمِّرَ حوالي سبعين عاما ترك لنا حوالي سبعين مؤلفا كلّها في غاية الجودة، وكانت في اللغة وفقه اللغة والنحو والصرف والأدب والنقد الأدبي والعروض والقراءات وعلوم القرآن وغيرها»([3]).

وما نراه أنّ ما تركه هذا الرجل لقليل أن يوصف بالعظيم، وعظمته تكمن في شيئين اثنين هما:

- عِظَمُ كَثْرةٍ ونعني بذلك كثرة المؤلفات والكتب التي خلفها الرجل وتنوعها بتنوع موضوعاتها

---

[1]– ابن جني، **مقدمة الخصائص**، المصدر السابق، ج/1، ص:59.

[2]– الشريف الرضي(أبو الحس محمد بن أبي أحمد الحسن الطاهر)، **ديوان الشريف الرضي**، د تح: دار صادر للطباعة والنشر، 1380هـ/1961م، ج/2، ص:65

*– تأثّث فلان أي :أصاب خيراً، وأثّ أثاً، أي: عظم وكثر، المعجم الوسيط، المرجع السابق، ص:05

**– الخوالق صناع الاديم وهم الذين يقدرونه قبل قطعه نقلا عن ديوان الشريف الرضي، المرجع نفسه، ص:65

[3]– د. حازم سليمان الحلي، **ابن جني وأثره في البحث اللغوي العربي**، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، سوريا، مج 84،ج/2،ص:370

- وعظَمُ المحتوى ونعني به القيمة العلمية لما احتوته تلك الكتب من أفكار ومعلومات لم يسبقه لها أحد من قبل، وإن سبقه لها غيره فإنّه يُضفي عليها مسحته التي تزيدها عمقا ودقة، وهذا ما يُوسِمُهاَ بالجدّة والحداثة.

وما يقال عن مؤلفاته نذكر مثلا ما جاء في مقدمة "**الخصائص**": «لقد خلف كتبا حسانا تدلّ على فضله الجم وعلمه الغزير وقد تخيّر لها أسماء حسانا كذلك»([1])، ولقد ذكر الكثير من أصحاب الطبقات مؤلفاته على كثرتها واختلاف عناوينها وموضوعاتها، فأورد منها **السيوطي** في "البغية"، وياقوت **الحموي** في "معجم الادباء"، وغيرهما كثير، قال **السيوطي** «صنّف الخصائص في النحو، سرّ صناعة الإعراب، شرح تصريف المازني شرح مستغلق الحماسة،...»([2])، وجاء في معجم الأدباء ما ذكره في إجازة كتبها **ابن جنّي لأبي عبد الله الحسن بن نصر**، كي يروي عنه كتبه ومصنفاته قال فيها: «...وكتابي شرح المقصور والممدود،...وكتابي في تعاقب العربية،...وكتابي في تفسير ديوان المتنبي،.. وكتابي في تفسير معاني هذا الديوان...»([3]).

ومن كتبه أيضا: "المنصف في شرح تصريف المازني"، و"الفسر في شرح ديوان المتنبي"، و"التنبيه في شرح مشكلات الحماسة، و"المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات" و"الإيضاح عنها" و"شرح الإيضاح"، وله كتب أخرى دون هذه في المنزلة ومنها: "تفسير أرجوزة أبي نواس" و"التصريف المملوكي"، و"المبهج في اشتقاق أسماء شعراء الحماسة" و"مختصر القوافي" و"التمام في تفسير أشعار هذيل"، و"عقود الهمز"، و"المقتضب" و"المذكر والمؤنث".

وهذه التصانيف العجيبة البديعة وغيرها ألزمت وأجبرت كلّ من كتب عنه أن يعترف له بالفضل ويثني عليه وعلى مؤلفاته، وهذا ما ورد ذكره في مقدمة أحد الكتب المهمة التي ألّفَهَا **ابن جني** وهو كتاب "سرّ صناعة الإعراب" الذي اخترناه مدونة لهذا البحث المتواضع.

---

[1]- ابن جني، **مقدمة الخصائص**، المصدر السابق، ج/1، ص:60.

[2]- السيوطي، **بغية الوعاة**، المرجع السابق، ج/2، ص:132.

[3]- الحموي، **معجم الادباء**، المرجع السابق، ج/12، ص:110.

**5ـ كتاب "سرّ صناعة الاعراب":**

**أـ سبب تسميته:**

هو كتاب "**سرّ صناعة الإعراب**"، العنوان الذي عُرف واشتُهر به وهو ما ذكره المحقق حين قال: «اشتهر الكتاب بـ "سر صناعة الإعراب" وهو الاسم الذي أُثبت على الصفحة الأولى من نسخة **شهيد علي باشا** ونسخة **المكتبة الأزهرية** التي اعتمد عليها محققوا الجزء الأول، ووُسِم بـ: "**سرّ الصناعة**" في بقية النسخ التي أُعتمد عليها في تحقيق الكتاب...»([1])، واختيارُ **ابن جنّي** لهذه التسمية كان موفقاً ودقيقا، وهذا متوقع من عالم جليل القدر وطويل الباع في علوم اللغة، وبالرغم من هذا فإنّ إطلاق هذه التسمية كان موضوع نقاش بين الدّارسين وخاصة الذين اهتموا بتحقيق الكتاب، فذهب بعضهم إلى عدم دلالة العنوان على مضمونه، وهناك من استحسن اطلاق "**سرّ الصناعة**" بدل "**سرّ صناعة الاعراب**"، وما نراه صوابا هو ما بيّنه المحقق، حيث أشار إلى أنّه كان يقصدُ بصناعة الاعراب صناعة الكلمات وما يعتريها من تغيير، كالإعلال والإبدال، والزيادة والاصالة والحالات، التي يجب فيها حذف حرفٍ ما ومتى يجوز وكلّ هذه المباحث تعدّ من المسائل الصرفية، وكلّ هذا جاء في قول المحقق التالي: « نخلص من هذا كلّه إلى الاقتناع بأنّ **ابن جنّي** كان موفقاً في اختيار اسم "**سرّ صناعة الاعراب**" لهذا الكتاب، فهو يدلّ على موضوعه دلالة دقيقة، إذ لم يكن المؤلف يعني بـ"صناعة الاعراب" إلاّ صناعة الكلم، أي ما يحدث فيها من الإعلال والإبدال، ومتى يكون الحرف أصلياً، ومتى يُحكم بزيادته، ومتى يحب حذفه، ونحو ذلك من مسائل التصريف»([2])، وأمّا ما شاع ذكره أنّ **ابن جنّي** كان يذكر كتابه أحياناً باسم "**سرّ الصناعة**" إنّما هو من باب الاختصار الذي اشتهر بين العلماء وطلبة العلم، ولا يفهم منه أنّه أدرك خللاً في العنوان الأول فعدل عنه يقول المحقق: «وليس في هذا مأخذ على شيخ العربية، فعندي أنّ اشتهاره بـ "**سرّ الصناعة**" إنّما يدخل في باب الاختصار، ولا يعني ذلك أبداً أنّه أدرك أنّ العنوان لا يصدق على ما ضمّنه صدقاً تاماً»([3]).

---

[1]– ابن جني، **سر صناعة الإعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:20/19.

[2]– المرجع نفسه، ج/1، ص: 25.

[3]– نفسه، ج/1، ص:21.

**ب ــ سبب تأليفه:**

يعود سبب تأليف كتاب "**سرّ صناعة الإعراب**" إلى ما ذكره **ابن جنّي** وهو أنّ رجلا ذا منزلة عالية في عصره طلب منه تأليف الكتاب ولم يذكر **ابن جنّي** اسمه ولا ما يدلُّ عليه كما أنّ كتب الطبقات والأدب لم تورد خبرا عن اسمه، ولكن كما قال المحقق: «لكن أُثبت على الصفحة الأولى من نسخة **شهيد علي باشا** ما نصُّه:" **كتاب سرّ صناعة**" الإعراب صنعة الشيخ **أبي الفتح عثمان ابن جنّي** النحوي (رحمه الله) إلى **أبي بكر عبد الواحد بن عُرس بن فهد بن أحمد الأزدي**. ولا أدري أين وقف الناسخ على ذلك، هذا ولم أعثر على ترجمة لعبد الواحد المذكور، ويبدو أنّه كان من أعيان الموصل لأنّ بني فهد عرب من الأزد وكان لهم رياسة وسلطة في الموصل»([1]).

**ج ــ موضوعه:**

ذكر **ابن جنّي** في مقدمة كتابه أنّ الرجل صاحب المنزلة الرفيعة الذي طلب منه أن يُصنّف له هذا الكتاب، حدَّد له موضوعه حين رسم له أن يضع «كتابا يشتمل على أحكام حروف المعجم، وأحوال كلّ حرف منها وكيف مواقعه في كلام العرب، فاستجاب **أبو الفتح** لطلبه، واتبع ما رسم وانتهى إلى ما أراد»([2]).

وذكر **ابن جنّي** الذي يعنيه بحروف المعجم التي جعلها موضوعا لكتابه بقوله: «وليس غرضنا في هذا الكتاب ذكر هذه الحروف مؤلفة لأنّ ذلك كان يقود إلى استيعاب جميع اللغة وهذا ممّا يطول جدًّا وليس عليه عقدنا هذا الكتاب، وإنّما الغرض فيه ذكر أحوال هذه الحروف مفردة أو منتزعة من أبنية الكلم التي هي مصوغة فيها لما يخصها من القول في أنفسها»([3]).

فموضوع الكتاب إذا هو دراسة حروف المعجم وما يعتريها من تغيير في حال كونها منفردة.

---

[1]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:19.

[2]– المرجع نفسه، ج/1، ص:17.

[3]– نفسه، ج/1، ص:05.

**د ـ أهميتـــــه:**

يقـول المحقق الدكتور **حسن هنداوي:** « ينظـر الناس عادة للحكـم على أهمية أي أثـر علمـي إلى ثلاثة أمور هي: المؤلف، وموضوع الكتاب، والخصائـص التي ينفرد بها»([1]). والمتأمل لهذا الكتاب فإنّه سيقفُ لا محالة على تلك الأمور. المؤلِّف فهو **ابن جنّي** الغنيُّ عن التعريف الذّائع الصيت المشهود له بالعلم، أمّا **موضوع الكتاب** كما سبق ذكره فهو دراسة حروف المعجم، وقد بيّنا ذلك من قبل. وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى المادة العلمية التي ضمّنها المؤلِّف كتابه فإنّها لم تتوفر في غيره فهو فريد في نظمه وتبويبه وموضوعه لم يسبقه إليه أحد. فلقد اشتمل على مقدمة في علم الأصوات، وفيها تكلم كلاما بَهَرَ به السابقين ونال إعجاب اللغويين في العصر الحديث فقال فيه **كمال بشر:** «أما وصف **ابن جنّي** للمخارج بالصورة التي سجّلها في كتابه وترتيبه لهذه المخارج فهو دليل على قوة ملاحظته وذكائه النادر؛ والحق أنّ النتائج التي وصل إليها هذا العالم في هذا الوقت الذي كان يعيش فيه ليعدّ مفخرة له ولمفكري العرب في هذا الموضوع ...»([2])، هذا بالإضافة إلى مباحث أخرى في النحو ممّا يجعل الكتاب ذا أهمية بالغة.

**وـ خصائصه:**

أمّا بالنّسبة للخصائص التي تميّزه عن غيره، فيذكر منها المحقق:

**ـ السّهولة والوضوح:**

فأسلوب **ابن جنّي** في دراسته للتصـريف ينـدرج في باب السهل الممتنع، فهو يعالـج القضايا اللغوية بعبارات سهلة يسيـرة بعيـدة عـن التعقيـد، خالية مـن الغمـوض، فأسلـوبه في معظمه يشوّق القارئ إلى المتابعة ويغريه بالاستمرار.

**ـ غزارة المادة:**

إنّ من أهمّ ما يميّز هذا الكتاب غزارة المادة التي صبّها فيه **ابن جنّي** ممّا اكسبه قيمة علمية لا يمكن نكرانها، وهو بذلك يعكس ما كان قد ورثه عن سابقيه من مادة

---

[1]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب، مقدمة المحقق**، المصدر السابق، ج/1، ص:26.

[2]– كمال بشر، **علم الأصوات**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2000م، ص:192.

علمية متنوعة، فتراه يعرض ظاهرة مّا ويشرع في تفصيلها ويسوق لها من الأدلّة ما حفظه من الآيات والشواهد الشعرية وكلام العرب ومذاهب التصريفيين، حتى أنّك تخالُه وقد حفظ كلّ ما قيل في المسألة.

**ـ الشمولية والاستقصاء:**

ذكر **حسن هنداوي**: « تناول **ابن جنّي** في "**سرّ صناعة الإعراب**" حروف العربية التسعة والعشرين، فدرسها دراسة صوتية تصريفية، وعرض في ثنايا الأبواب مسائل نحوية كثيرة وفي أثناء ذلك كان يشرح بعض قضايا اللغة كالاشتقاق وقد جاء كتابه جامعا لعلم التصريف ...»([1])، والدّارس المُمْعن النّظر يدرك أنّ الكتاب قد اشتمل على جملة من العلوم غير علم الاصوات والتصريف.

فهذه الخصائص التي اتّصف بها الكتاب لم تكن عفوية، ولكن المؤلِّف أشار إلى ذلك في مقدمة كتابه وكان له ما أراد ووفّى بما وعد، وبذلك جاء الكتاب عاكسا لما تميّز به مؤلِّفُه **ابن جنّي** حتى أصبح كتابه هذا موازيا لكتاب سيبويه في الدراسات الصوتية فلا يمكن لباحث ولا دارس أن يغض الطرف عنهما إن أراد لدراسته التمام والكمال.

[1]– ابن جني، **سر صناعة الإعراب**، مقدمة المحقق، المصدر السابق، ج/1، ص:31.

# الفصل الثاني

# منهج ابن جنّي في دراسة الأصوات والحروف و تصنيفها

## تـــوطئـــــة:

بعد أن تعرفنا في الفصل الأول على **ابن جني** ومكانته العلمية وأهم مؤلفاته، حيث تم التركيز على كتابه "**سرّ صناعة الإعراب**" باعتباره المدونة التي وقع عليها اختيارنا في هذا البحث، وكنا قد أشرنا سلفا في آخر الفصل الأول إلى سبب تأليفه وموضوعه استجابة لطلب الرجل الفاضل من آل بويه الذين كان **ابن جنيّ** في خدمتهم ومجالستهم، لما أبدَوْهُ من خدمة للعلم والعلماء فكان من ثنائه عليه ودعـائه له قـوله: « أطال الله بقاءك ، وأحسن إمتاع العلم وأهلِه بك، فإنّك بحمد الله جَمالاً له ولهم، وقفاً عليه وعليهم، إن أظلم شقٌّ منه كنت لهم فيه سراجاً أو طَمَس منار له وجدت له منهاجا، أو قعد غيرك عنه قمت بأعبائه، مراماً عن حوزته من أمامه ووراءه، مُتَقَيِّلاً* آثار أسلافك الغُرِّ الأطايب الذين خصّهم الله – تعالى – وإيّاك بأرفع المراتب و انتضاهم **في سلالة النجباء النجائب»([1]).

و**ابن جنّي** بعد ذلك عـزم على تأليف الكتاب تلبية لطلب الـرجل الذي رسم له أن يضع كتابا في حروف المعجم وأحوالها ويفهم ذلك من قوله: «كتاباً يشتمل على جميع أحكام حروف المعجم وأحوال كل حرف منها، وكيف مواقعه في كلام العرب»([2]).

وفي هذا الفصل سنسلط الضوء على المنهج الذي اختاره **ابن جنّي** في دراسته للأصوات والحروف وكيف تمكن من الوصول إلى ما وصل اليه من نتائج في هذا الجال.

---

*– مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، المرجع السابق، تقيل اباه نزع اليه في الشبه والعمل، ومن كان قبله من الملوك أشبهه مادة (ق،ا،ل)، ص:770.

**– انتصاهم أي اختارهم، ينظر: ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:03.

[1]– المرجع نفسه، ج/1، ص:03.

[2]– نفسه، ج/1، ص:03.

# المبحث الأول

## دراسة الأصوات والحروف عند ابن جنّي

1- طريقته في دراسة الأصوات والحروف

2- الصوت والحرف وأهمية جهاز النطق

أ-تعريف الصوت والحرف

ب- جهاز النطق

ج- الأعضاء المكونة لجهاز النطق

د- مخارج الأصوات والحروف

**1 ـ طريقته في دراسة الأصوات والحروف:**

**أولاً:** قام **ابن جنّي** بتقصّي الحروف وتتبعها في مخارجها *، ثم ترتيبها معتمدا على الملاحظة الدقيقة ومستعينا بما توصل اليه **الخليل بن أحمد الفراهيدي** . مؤسِّس هذا الفن والسبّاق اليه . غير أنّه خالف **الخليل** في ترتيب الحروف، لأنّه يعتقد أنّ في عمل الخليل خطلاً واضطراباً لذلك اعتمد الترتيب الألف بائي في تبويب الكتاب، مقلبا ما جاء به **سيبويه** قبله المعروف بين الناس في زمانه مع فرق بسيط بخصوص تقديم الهمزة على الألف وترتيب حروف الصفير(1).

ويعتقد **حسام سعيد النعيمي** أنّ النُّسّاخ هم من أحدثُوا هذه الفروقات وأنّها في الأصل غير موجودة حينما قال: « أما تقدم الهاء على الألف فالرّاجح أنّه من عمل النّساخ لأنّ **ابن جنّي** نصّ على أنّ الألف مقدمة على الهاء عند **سيبويه** وهي معها عند **الأخفش**، أمّا الاختلاف في ترتيب الحروف فناجم من أحد الامرين:

**الأول:** أن يكون أيضا من عمل النّساخ.

**الثاني:** أن يكون **سيبويه** أو **ابن جنّي** قد أحسّ بأنّ الثلاثة من مخرج واحد لا يتقدّم أي منها على الآخرين والفرق بينهما في الصفة، فالزّاي من مخرج السين إلاّ أنّها مجهورة والسين مهموسة والصاد من مخرج السين وهي مهموسة أيضا، إلاّ أنّها تختلف عن السين بالإطباق فلم يبالَ التقديم والتأخير بينهما لذلك»([2]).

وهكذا جاء ترتيب **ابن جنّي** للحروف بحسب مخارجها:

---

* – **المخرج:** هو المكان الذي يخرج منه الصوت اللغوي في الجهاز النطقي، وكان الخليل أوّل من استعمل هذا المصطلح واستعمل أيضا المبدأ، والمدرجة، واستعمل ابن جني المجرى أو الحرف أو المقطع، أما المحدثين فأطلقوا عليه مكان النطق وموضعه، ونقطة النطق ، ينظر: العبيدي (رشيد عبد الرحمن )، **معجم الصوتيات**، مركز البحوث والدراسات الإسلامية العراق، مكتبة الدكتور مروان العطية، ط1، 1427هـ/2007م، ص:181،182.

1– ينظر: ابن جني، **سر صناعة الإعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:33.

2– النعيمي(حسام سعيد)، **الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني**، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية العراقية دار الرشيد للنشر،1980م، ص:301.

«الهمزة، الألف، الهاء، العين، الحاء، الغين، الخاء، القاف، الكاف، الجيم، الشين، الياء الضاد، اللام، الراء، النون، الطاء، الدال، التاء، الصاد، الزاي، السين، الظاء، الذال، الثاء الفاء، الباء الميم، والواو»([1]).

ونجد في هذا الترتيب مخالفة لما وضعه كلّ من **الخليل** و**سيبويه*** ومقراً بقوله: «فهذا ترتيب الحروف على مذاقها وتصعّدِها، وهو الصحيح، فأمّا ترتيبها في كتاب "**العين**" ففيه خطل واضطراب ومخالفة لما قدمناه آنفاً ممّا رتّبه **سيبويه**، وتلاه أصحابه عليه، وهو الصواب الذي يشهد المتأمل له بصحته»([2]).

**ثانياً** : من أهمّ ما أثبت **ابن جنّي** في تأليف كتابه ذِكرُ أحوال حروف المعجم العربي بعبقرية تُجلي فلسفته في دراسة الأصوات دراسة معمقة خاضعة لمنهج علمي دقيق، مشيرا إلى مخارجها ومدارجها، وانقسام أصنافها، و أحكامها وأجناسها وما تعلق بصفاتها في قوله :«وأذكر أحوال هذه الحروف من مخارجها ومدارجها، وانقسام أصنافها، وأحكام مجهورها ومهموسها، وشديدها ورخوها وصحيها ومعتلها، ومطبقها ومنفتحها، وساكنها ومتحركها ومضغوطها ومهتوتها، ومنحرفها ومشرّبها، ومستويها ومكررها، ومستعليها ومنخفضها، إلى غير ذلك من أحكامها و أجناسها»([3]).

**ثالثا:** تناول **ابن جنّي** الحروف بالدّراسة إضافة إلى مخارجها وصفاتها وأحوالها، من حيث أصالتها وزيادتها وإبدالها وإعلالها، وكلّها من **علم الصّريف**، كما: «ذكر صفات الحروف بعدما عقد بابا لكلّ حرف تناول فيه صفاته من حيث الجهر والهمس، مبيّنا مراتب استعماله في الكلمة من حيث الأصالة والبدل والزيادة»([4]).

وعند **ابن جنّي** يكون الحرف إمّا فاء الفعل أو عينه أو لامه، وتعني **الزيادة** لديه أن يكون الحرف لا فاء الفعل، ولا عينه، ولا لامه. أمّا البدل فهو أن يأتي الحرف في مكان حرف آخر

---

[1]- ابن جنّي، **سر صناعة الإعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:45.

*- ترتيب الخليل: (ع ح هـ خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط د ت ظ ذ ث ر ل ن ف ب م و ا ي ء)

ترتيب سيبويه: (ء ا هـ ع ح غ خ ك ق ض ج ش ي ل ر ن ط د ت ص ز س ظ ذ ث ف ب م و)

[2]- ابن جنّي، المرجع نفسه، ج/1، ص: 46،45.

[3]- نفسه، ج/1، ص:04.

[4]- نفسه، ج/1، ص:33.

لضرورة ما، أو تكلفا، أو استحسانا ويقف عند كلّ حالة مع كل حرف من حروف المعجم ليجد ما تتوفر فيه كلّ تلك الحالات، وما يقتصر على بعض منها فقط.

**رابعا:** قسّم **ابن جنّي** الحروف إلى فروع مستحسنة، وأخرى مستقبحة وبعد أن ناقش أسماء هذه الحروف أشار إلى نقطة مهمة حيث أنّ تسمية أي حرف من الحروف تبدأ بذات الحرف كأن تقول "**جيم**"، أو "**واو**" عند تسميتك لحرف(و) أو(ج) ...فتسمية حرف **الجيم** أي لفظة "جيم" تبدأ به نفسه.

والفروع المستحسنة تضاف إلى الحروف الأصلية يقول **ابن جنّي:** « وأعلم أنّ هذه الحروف التسعة والعشرين قد تلحقها ستة أحرف تتفرع عنها، حتى تكون خمسة وثلاثين حرفا وهذه الستة حسنة يؤخذ بها في القرآن وفصيح الكلام، وهي: النون الخفيفة، ويقال الخفية والهمزة المخففة وألف التفخيم، وألف الإمالة، والشين التي كالجيم، والصاد التي كالزاي»([1]).

ثمّ تأتي الفروع المستقبحة وهي فروع لا يؤخذ بها في القرآن ولا في الشعر، ولافي غير ذلك من فصيح الكلام ومنها على سبيل المثال : الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالشين...([2]).

**خامسا:** ذكر **ابن جنّي** مراتب الحروف في الاطراد مشيرا إلى ترتيبها بحسب مخارجها بدءًا من أبعد مخرج وهو أقصى الحلق، وصولا إلى أدنى مخرج وهو الشفتين، معتمدا في ذلك على تذوقها وهي الطريقة المثلى لتحديد مصدر الحرف ومخرجه، وكان بذلك ترتيبه للحروف مخالفاً لترتيب **الخليل** الذي سلك المنهج نفسه، حيث رتبها على النحو التالي:

ع، ح، ه، خ، غ، ق، ك، ج، ش، ض، ص، س، ز، ط، د، ت، ذ، ر، ل، ن، ف، ب، م و، ا، ي، همزة ([3]).

ويرى **ابن جنّي** بأنّ ترتيبه هذا هو الصحيح، ويقرّ بمخالفة ما جاء به سيبويه، أما ترتيب الخليل فأن فيه خطلاً واضطراباً، حين قال : « فهذا ترتيب الحروف على مذاقها و تصعُّدها

---

[1]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:46.

[2]– ينظر: المصدر نفسه، ج/1، ص:46.

[3]– الفراهيدي (الخليل ابن احمد)، **كتاب العين**: تح: د. مهدي المخزرمي وإبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس دط، دت. ج/1، ص:48.

وهو الصحيح، فأمر ترتيبها في كتاب "العين" ففيه خطل واضطراب ومخالفة لما قدمناه آنفا مما رتبه سيبويه، وتلاه أصحابه عليه، وهو الصواب الذي يشهد المتأمل له بصحته »([1]).

**سادسا** : بيّن **ابن جنّي** مخارج الحروف وأقسامها، و تحدث عن مرتبة الحركة من الحرف وفرّق ما بينهما، كما ذكرت **فوزية سرير عبد الله** في رسالتها حول الموضوع إذ قالت « بيّن مخارج الحروف وبيّن أقسامها، فوصف مخارج الأصوات وصفا دقيقا، ثم انتقل إلى الصفات العامة من همس أو جهر ومن شدّة أو رخاوة، ومن إطباق أو انفتاح، ومن استعلاء أو استفال، كما تحدث عن مرتبة الحركة من الحرف وعن الاحتمالات الثلاثة قبل الحرف أو معه أو بعده محتجا لكلّ حالة، متقنا التعليل لرأيه الخاص»([2]).

وقرّر **ابن جنّي** أنّ الحركات التي هي فروع متولدة عن الحركات، حين قال: « و الحركات التي هي فروع متولدة عن الحركات، كتفرّع الحرف عن الحرف»([3]).

**سابعا** : ولاحظ **ابن جنّي** أحوال مخارج الحروف في حالتي السكون والحركة، فالحرف عندما يكون ساكنا يكون له مخرجٌ معيّنا، فإذا ما حرّك ذلك الحرف أُبعد عن محله الأوّل ويذكر أيضا الحروف في أشكالها، والغرض من وضع واضعها، وكيفية التلفظ بها عندما تكون أصواتا منفردة أو مقطعة، وعندما تكون مركبة في الأسماء، وما يطالها من تغييرات كالإعلال والإبدال والإدغام والزيادة ...وما يتوالى فيه إعلالان بعد نقله إلى غيره ومالا يبقى منها على حاله، وما يمكنه مجاورة بعضه لبعض أثناء تركيبه، وما لا يمكنه ذلك، وهو في كلّ ذلك يركز على الحروف و هي منفردة أو كما قال منتزعة من أبنية الكلم([4]).

**ثامنا:** لقد عقد **ابن جنّي** في هذا الكتاب لكلّ حرف من حروف المعجم بابا يتناول فيه الحرف بدراسة خاصة، ومعمقة، وشاملة، بدءاً بذكر صفات الحرف كالجهر والهمس، ثم حالات استعماله في الكلام و وُرودِه أصلاً، أو زائداً أو مُبدلاً من غيره، ثم يتبع ذلك بالتمثيل لكلِّ حالة وفي مختلف مواقعها أي عندما يقع الحرف فاء الكلمة وعينها ولامها، كما بين ما

---

[1]– ابن جنّي، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:46.

[2]– فوزية سرير عبد الله، **سر صناعة الإعراب في ميزان الصوتيات الحديثة [دراسة مقارنة]** رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، قسم اللغة العربية وآدابها ،2001/2000م، ص:14.

[3]– ابن جني، المصدر السابق، ج/1، ص:04.

[4]– ينظر: نفسه، ج/1، ص:05.

يجوز ابداله من غيره ويعرض مواضع الزيادة. وهذا مثالٌ له يقول فيه: « الزاي حرف مجهور يكون أصلاً وبدلاً لا زائداً، فإن كان أصلاً وقع فاءًا وعيناً ولاماً، فالفاء /نحو **زُمَر** و**زَمَر** والعين نحو **بِزْر** و**حَزَرَ**، واللام نحو **جُرْزٍ** و**جَرَزَ**. وقال بعضهم: يقال: شَزَبَ وشَسَبَ وشَسَفَ بمعنىً، أي: ضَمَر، وفصّل الأصمعي، فقال: " الشازب: الذي فيه ضُمور وإن لم يكن مهزولا والشاسِب و الشاسِف: الذي قد يبس.

قال: وسمعت أعرابيا يقول: ما قال **الحطيئة**([1]):

ما كان ذَنْبُ بَغِيضٍ لا أَبَا لَكُمُ في بائسٍ جاء يحدو أَيْنُقاً شُسْبَا

ما كان ذَنْبُ بَغِيضٍ لا أَبَا لَكُمُ في بائسٍ جاء يحدو أَيْنُقاً شُزُبا

إنما قال: أينقاً شُسُباً ". وليست الزاي ولا السين بدلاً إحداهما من الأخرى لتصرف الفعلين فيهما جميعاً. وقرأت عن **أبي علي لذي الرُّمة**([2]):

خِدَبٍّ حَنَا من ظهره بعد بَدْنِـه على قُصْب مُنْضَمٍّ الثَّميلة شازِبِ

وكَلْب* تقلب السين مع القاف خاصة زاياً، فيقولون في سَقْ: زَقْر وفي "مَسَّ سَقَر": مَسَّ زَقَر وشاة زَقْعاء في: صَقْعاء. ومثله من الصاد: أَزْدُقي في أَصْدُقي، وزَدَقَ في صَدَقَ، قال :

ودَعْ ذا الهوى قبلَ القِلَى، تَرْكُ ذي الهوى متينَ القُوَى خيرٌ من الصُّرْم مَزْدَرا

يريدُ: مصدرًا. وقال آخر:

يزيدُ زاد الله في خَيْراتِهِ حامي نـزارٍ عند مزدوقاتهِ

أي: مصدوقاته»([1])، والذي نلاحظه هو أنّ **ابن جنّي** أشار ومثّل للحالتين اللتين يكون عليهما حرف الزّاي وهما أصلاً وبدلاً ومن هذه الأخيرة قام باستبدال الزاي بالسين في قول الحطيئة

---

[1]– الحطيئة جرول بن أوس بن مالك، **ديوان الحطيئة**، برواية وشرح ابن السكيت، ترتيب وتبويب: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت ، لبنان، 1413هـ/1993م، ص: 46.

[2]– ذي الرمة غيلان بن عقبة بن مسعود، **ديوان ذي الرمة**، تقديم وشرح احمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، ط1 بيروت، لبنان 1415هـ/1995م، خِدبٍّ يعني الضخم، الثّميلة هي ما يبقى في الجوف من علف، شازب يعني الضامر ص:33.

*– قبيلة عربية بنو كلب بن وبرة: بطن من قضاعة، من القحطانية، عمر رضا كحّالة، **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**، المطبعة الهاشمية بدمشق، سوريا، د ط، د تح، 1949م،1368هـ، ج/3، ص: 991.

وغيره من الشعراء للاستدلال على إمكانية ابدال الزاي بكلّ من السين والصاد.

ويتّضِح بهذا الاسترسال السلس في عرض القضايا الصوتية أنّ **ابن جنّي** أراد أن يظهر أهمية الفكر الصوتي لديه ومكانته من بين الدراسات اللغوية ممّا يوحي بأنّه قد أوتي ما لم يُؤت غيره في هذا المجال لذلك عُدَّ رائد هذا الفن دون منازع بشهادة الكثيرين، وبإقراره هو نفسه حين قال: «وما علمتُ أنّ أحدا من أصحابنا خاض في هذا الفن هذا الخوض ولا أشبعه هذا الإشباع، ومن وجد قولا قاله، والله عزّ وجل يعين على الصواب بقدرته»([2]).

وبهذا الإنجاز يكون **ابن جنّي** قد تمكن من تخصيص كتاب لدراسة الأصوات وارتقى بهذا الفن من مرحلة التأسيس إلى مرحلة التنظير والتأصيل وهو ما يستنتج من تسمية هذا العلم التي كانت من إبداعه وهي: "**علم الأصوات** ". ولا زالت تستعمل إلى يوم الناس هذا حيث قال: «هذا القبيل من هذا العلم، أعني **علم الأصوات** والحروف، له تعلق ومشاركة للموسيقى لما فيه من صنعة الأصوات والنغم»([3]).

ويلاحظ عن منهج **ابن جنّي** في كتابه هذا إضافة إلى ما تم ذكره، أنّه كان يحيط بالمسألة إحاطة شاملة، ثم يورد أقوال سابقيه من الدارسين للمسألة من نحويين ولغويين، ثم يعلق عليها بإثبات صحتها أو ذاكرا مخالفته لها أو منوها بخطئها وبطلانها، فاسحا المجال أمامه ليعرض ما تبدّى له فيها من رأي بكلّ ثقة بصوابه، ومثال ذلك ما ذكره في تعليل فتح الراء أو تسكينها في قول الراجز، إذ قال:

«منْ أيِّ يوميَّ من الموت أفرُّ **** أيومَ لم يُقْدَرَ أمْ يومَ قُدِرْ*

فذهبوا فيه إلى أنّه أراد النون الخفيفة، ثم حذفها ضرورة، فبقيَّ الرّاء مفتوحة، كأنّه أراد " يُقْدَرَن ". وأنكر بعض أصحابنا هذا، وقال: هذه النون لا تحذف إلاّ لسكون ما بعدها، ولا سكون ههنا بعدها. والذي أراه أنا في هذا ــ وما علمت أحدا من أصحابنا ولا غيرهم ذكره، ويشبه أن

---

[1]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:196/195.

[2]– المصدر نفسه، ج/1، ص: 56.

[3]– نفسه، ج/1: ص:09.

*- اختلف في نسبة هذا البيت فذكر العيني ان البحتري نسبه لعلي بن ابي طالب، ونقل ان ابن الاعرابي نسبه الى الحارث بن المنذر، وورد في بعض الكتب بغير نسب مثل، **النوادر** ص: 164 **وشرح القصائد السبع** ص:34 و**الخصائص** ج/3 ص:94

يكونوا لم يذكروه للطفة ـ هو أنّ أصله "أيوم لم يُقْدَرْ أم" بسكون الراء للجزم، ثم إنّها جاورت الهمزة المفتوحة والراء ساكنة، وقد أجرت العرب الحرف الساكن إذا جاور الحرفَ المتحرك مجرى المتحرك، وذلك قولهم فيما حكاه سيبويه: "المَرَاة" و" الكَمَاة" يريدون المَرْأَةَ والكَمْأَةَ »([1]).

وكان **ابن جنّي** كثيرا ما يستشهد بآراء شيخه واستاذه **أبي علي الفارسي**، وكذا **الخليل** و**سيبويه** على حسب ما ذكرته **فوزية سرير عبد الله** في مذكرتها إذ قالت أنّه: « كثيرا ما يستشهد بأقوال أستاذه **(أبي علي)** ويحتج بها، وإن بدا له أنّها غامضة يبادر إلى تحليلها والتعليل لها، وإيضاح هذا الغموض، وربما يتطرق لما تكلم فيه **(الخليل)** أو **(سيبويه)** دون بسط فيبسطه ويجلي عنه الغموض، ويكشف أسراره»([2]).

ولقد تحدث **ابن جني** في كتابه عن أهمّ الظواهر الصوتية ومجملها، منها ما سبقت الإشارة إليه من طرف بعض الدارسين، ومنها ما كان له فيها قصب السبق، فكان يستعين في دراسته وتحليله للقضايا الصوتية بعلوم أخرى، كالنحو، والقياس، وغيرهما فكان ملمًّا بجل علوم اللغة وما تعلق بها إن لم نقل كلّها، ممّا دفع بالبعض إلى القول عنه: «فترى أنّ علوم اللغة تندمج عنده وتمتزج في البحث بحيث تكون عنده كأنّها مادة واحدة وموضوع واحد»([3]).

إنّ المتأمل لكتاب "**سرّ صناعة الإعراب**" والمتفحص له يدرك قوة أسلوب هذا العالم وتميُّز منهجه والسبب يعود إلى أمرين اساسين:

**الأول:** أنّ **ابن جنّي** كانت له قدرات عقلية خارقة إلى حدٍ كبير، ويتجلى ذلك من خلال دقّة الملاحظة وسرعة الفهم وقوة الاستعاب، ممّا مكنّه من التمرس والمهارة في التحليل والتعليل.

**الثاني:** أنّه يرجع إلى البيئة والمحيط الذي نشأ وتعلم فيه، وهي كما يعلم الجميع مدينة **بغداد** حاضرة العلوم، ومنارة الأدب، حيث كانت تزخر يومها بكبار العلماء تدريسا ومدارسة، ممّا جعلها وُجهة الطالبين، ومَقصد الراغبين، ولا شك أنّ **ابن جنّي** نَهِل ممّا كان يسودها من قوة البيان، وكثرة الجدل، وتلاقح الأفكار، فأخذ من شيخه حرية التعبير والاستقلالية في الرأي.

---

[1]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:75.

[2]– فوزية سرير عبد الله، **سر صناعة الإعراب في ميزان الصوتيات الحديثة**، المرجع السابق، ص:15.

[3]– السامرائي، **ابن جنّي النحوي**، المرجع السابق، ص:225.

**2 ـ الصوت والحرف وأهمية جهاز النطق :**

وقبل التطرق لتعريف الأصوات عند **ابن جنّي** والوقوف على ما ذكره بالتحديد بشيء من التحليل والشرح، تبين لنا أنّه من الضروري أن نعرج على ما جاء في بعض الكتب اللغوية من تحديد مصطلح الصوت لمعرفة مصدره و الأمر نفسه بالنسبة للحرف.

**أـ الصوت والحرف في بعض المعاجم والكتب اللغوية:**

«فالصوت: الجَرْسُ، معروف، مذكر...والجمع أصوات. وقد صاتَ يَصوتَ ويَصاتُ صَوتاً وأصاتَ وصَوَّتَ به: كلُّه نادى. ويقال: صوَّتَ تصويتاً، فهو مُصَوِّتٌ، وذلك إذا صَوَّت بإنسان فدعاه. ويقال: صاتَ يصُوتُ صوتاً، فهو صائت، معناه صائح...»([1])، و« صاتَ يَصُوتُ ويَصاتُ: نادى، كأصاتَ وصَوَّتَ. ورجُلٌ صاتٌ: صَيِّتٌ. والصيِّتُ، بالكسر: الذِّكْرُ الحسَنُ»([2]).

والصوت عند **ابن فارس** هو: «في مادة (صوت): الصاد والواو والتاء، أصل صحيح وهو الصوت، وهو جنس لكلّ ما وقر في أذن السامع، يقال هذا صوت زيد، ورجل صيّت إذا كان شديد الصوت، و صائت إذا صاح»([3])، ومنه إذاً فالصوت عملية حركية يقوم بها الجهاز النطقي و تصحبها آثار سمعية معينة، تنتجُ من تحريك الهواء المنبعث من الصدر فيما بين مصدر إرسال الصوت وهو الجهاز النطقي ومركز استقباله وهو الأذن. تقول **خولة طالب الإبراهيمي** في ذلك: « فالصوت هو كلّ ما تدركه حاسة السمع مهما كان نوعه»([4]).

والصوت عند **خولة طالب** هوما تلتقطه الأذن بعمومه، وكأنّها تشير إلى الجانبين الفيزيائي والسمعي للدراسة الصوتية، فلفظة (كلّ) التي هي من ألفاظ العموم تدلّ على أيّ صوت يمكن أن يصل إلى الحاسة السمعية بغض النظر عن طبيعته أو مصدره أو نوعه

---

[1]– ابن منظور، **لسان العرب**، المرجع السابق، مج/8، ص:302.

[2] – الشيرازي(الفيروز أبادي)، **القاموس المحيط**، ت وتح، د. يحي مراد، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع. القاهرة ، مصر ط1 ص:131.

[3]– أحمد بن فارس بن زكرياء، **معجم مقاييس اللغة**، **تح**، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، ج/3، ص:318.

[4]– الابراهيمي(خولة طالب)، **مبادئ في اللسانيات**، دار القصبة، الجزائر، ص: 45.

فقد يكون ناتجاً ـ أي الصوت ـ عن التقاء جسمين معدنيين مثلا أو عن ارتطام جسم بالأرض أو من حيوان، وفي هذه الحالة تصل الذبذبات التي تحمل تلك الأصوات والمنقولة عبر الهواء مثلاً الى الأذن، وهذا ما يفسره الجانب الفيزيائي للصوت.

وذهب **إبراهيم أنيس** في ذلك مذهبا آخر حين قال: «الصوت ظاهرة طبيعية ندرك أثرها دون أن ندرك كُنهها فقد أثبت علماء الأصوات بتجارب لا يتطرق إليها الشّك أن كلّ صوت مسموع يستلزم وجود جسم في حالة اهتزاز...برهن هؤلاء على أنّ درجة الصوت تتوقف على عدد الإهتزازت في الثانية، فإذا زادت الإهتزازت أو الذبذبات على عدد خاص ازداد الصوت حدّة، وبذلك تختلف درجته، وتسمى هذه الذبذبات في الاصطلاح اللغوي التردد»([1])

وأمّا الحرف فهو: «من كلّ شيء: طرفه، وشفيرُه وحدُّه، ومن الجبل: أعلاه المحدَّدُ،... و واحد حروف التّهجّي والناقة الضامرةُ، أو العظيمةُ، ومسيلُ الماء، ...وعند النّحاة: ما جاء لمعنى ليسَ باسم ولا بفعلٍ»([2]). والذي يهمّنا ما قاله صاحب لسان العرب: «الحروف من حروف الهجاء: معروف واحد حروف التهجي. والحرف: الأداة التي تسمى الرابطة لأنّها تربط الاسم بالاسم والفعل بالفعل كعن وعلى ونحوهما، قال الازهري: كلُّ كلمة بُنِيَتْ أداةً عارية في الكلام لتفرقة المعاني واسمها حَرْفٌ وإن كان بناؤها بحرف أو فوق ذلك مثل حتى وهل وبل...»([3]).

وأمّا صاحب قاموس "**محيط المحيط**" فيقول: «ويطلق الحرف في عرف العرب على ما يَتَركّب منه اللفظ ويسمّى حرف التهجي وحرف الهجاء وحرف المبنى وحرف المعجم وقد عرّفه الفرّاء بأنّه صوت معتمد على مقطع محقّق أو مقدّر من مقاطع الحلق واللّسان والشّفة»([4]).

**ب ـ الصوت والحرف عند ابن جنّي:**

بيّن **ابن جنّي** الصوت والحرف واستطاع أن يميّز كلاً منهما بصفاته وخصائصه. وهذا ما أشار اليه في القول التالي: «اعلم أنّ الصوت عَرَض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا

---

[1]– إبراهيم انيس، **الأصوات اللغوية**، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، بمصر، القاهرة، د ط، د تح، دتا، ص:05.

[2]– مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، المرجع السابق، ص:167.

[3]– ابن منظور، **اللسان**، المرجع نفسه، مج/4، ص:88.

[4]– البستاني (المعلم بطرس)، **قاموس محيط المحيط**، مكتبة لبنان، نقلا عن طبعة1870م، بيروت، لبنان، ج/1، د تا ص:276.

حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا.وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها، وإذا تفطنت لذلك وجدتّه على ما ذكرته لك، ألا ترى أنّك تبتدئ الصوت من أقصى حلقك. ثم تبلغ به أيّ المقاطع شئت، فتجد له جرسا ما فإن انتقلت منه راجعا عنه، أو متجاوزا له، ثم قطعت أحسست عند ذلك صدى غير الصدى الأول، وذلك نحو الكاف فإنّك إذا قطعت بها سمعت هناك صدى ما فإن رجعت إلى القاف سمعت غيره، وإن جزت إلى الجيم سمعت غير ذينك الأولين»([1]).

لقد أبدى **ابن حنّي** عبقرية ثاقبة وذكاء حاداً تُتَـرْجِمُهُمَا دقّة الملاحظة التي مكّنته من الوقوف على حقيقة ما ذكره في النّص السابق، فاعتبر الصوت عرضاً أي: أنّه أمرٌ طارئ وليس أصلاً ويحتاج في وجوده إلى ما يقوم به أو هو كما عرفه **الجرجاني** ـ العرض ـ في معجمه. «العرض: الموجود الذي يحتاج إلى موضع أي محل يقوم به، كاللون المحتاج في وجوده إلى الجسم يُحلهُ ويقوم هو به»([2]).

وعليه فالصوت في نظر **ابن جنّي** لا يقوم بذاته لذلك اقترن بالنّفس، هذا الأخير هو الأصل الذي يقوم به الصوت، ويصف كيفية خروجه بأنّه مستطيلٌ متصلٌ، إلى أن يتم التعرض له إمّا في الحلق أو الفم أو الشفتين بموانع تعيق امتداده واستطالته، وبذلك ينتج الحرف وهو ما أشار اليه في القول الذي أوردناه سلفاً، فيُسمى المقطع أينما عرض له حرفا.

والذي يُمعن النّظر في تعريف **ابن جنّي** يدرك أنّ الصوت ينتج عن تضافر جهود أعضاء الجهاز النطقي مع أعضاء الجهاز التنفّسي، فالهواء المنبعث من الصدر والذي يحمل الصوت ما كان ليخرج لولا عمل جهاز التنفّس بشكل جيّد وبصفة منتظمة، ليتم اعتراضه في الأماكن التي أشرنا إليها سابقا مُتغيراً عمّا كان عليه من الاستطالة والسّرَيان أثناء التّعرضِ له وهو ما يسميه الحرف أي انقطاع الصوت والتّعرض له. وهذا ما عبّر عنه الدكتور **حازم علي كمال** بقوله: «عندما يَستعدُّ الإنسان للكلام العادي يستنشق الهواء فيمتلئ صدره به قليلا. وإذا أخذ في التكلم فإنّ عضلات البطن تتقلّص قبل النطق بأوّل مقطع صوتي، ثم

---

[1]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:06.

[2]– الشريف الجرجاني، **معجم التعريفات**، تح ود: محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة، د تا، د ط ، ص:125

تتقلّص عضلات القفص الصدري بحركات سريعة تدفع الهواء إلى أعلى عبر الأعضاء المنتجة للأصوات. وتواصل عضلات البطن تقلّصاتها في حركة بطيئة مضبوطة إلى أن ينتهي الإنسان من الجملة الأولى. فإذا فرغ منها فإنّ عملية الشّهيق تملأ الصدر ثانية وبسرعة استعدادا للنطق بالجملة الثانية وهكذا»([1]).

ومن هنا يمكن أن نستنتج تعريف الحرف بأنّه انقطاع الصوت المندفع من الصدر أو اعتراضه في أماكن محدّدة، والذي يفهم من هذا القول أنّ الحرف هو انتهاء مدّ الصوت وانقطاعه إمّا في الفم أو الحلق أو الشفتين، فكلّما انقطع الصوت كان الحرف ويقول في ذلك **ابن جنّي:** «...ومن هنا سُمِّيت حروف المعجم حروفاً، وذلك أنّ الحرف حدُّ مُنقطَع الصوت وغايته وطرفه...»([2]). وهذا ما أشار إليه أيضا **فليش هنري** بقوله: « فلدينا حرف كلّما اعترض مقطعٌ حركة هذا الصوت والواقع أنّ الذي يكوِّن الحرف جرس خاص، ينشأ نتيجة اعتماد الأعضاء في مكان المقطع »([3]). والأمر نفسه عند **إخوان الصّفاء** حين أشاروا إلى انقطاع الصوت بحروف هجائية، وهو ما وصفوه بأنّه دالٌ مشيرين بذلك إلى الكلام والقول الذي يشتمل على حروف هجائية([4])، وهذا ما استنتجه **الفخراني** كذلك من دراسته التي أجراها حول الرسائل الإخوانية يقول: « وهكذا نرى أنّ الصوت البشري أو ما سماه الإخوان صوتا منطقيا لا يكون لغويا أو حرفا لفظيا إلاّ إذا قُطع بصورة معينة أثناء مروره من الرئة وحتى انطلاقه إلى الهواء الخارجي. أمّا إذا لم ينقطع ذلك الصوت التقطيع الملائم لأصوات الكلام، ووقف فيه بقصد أو بغير قصد عند مرحلة التّصويت التي تتم بقيام الحنجرة والأوتار

---

[1]– حنفي بن عيسى، **محاضرات في علم النفس اللغوي**، الجزائر، دط، د تح، ص:124. نقلا عن، د. احمد مختار عمر، **دراسات في الصوت اللغوي**، ص:111.

[2]– ابن جنّي، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:14.

[3]– فليش هنري، **التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جنّي**، ترجمة، عبد الصبور شاهين، مجلة مجمع اللغة بالقاهرة، مج (23)، 1986م، ص:58، نقلا عن، فوزية سرير عبد الله، **سر صناعة الاعراب في ميزان الصوتيات الحديثة**، المرجع السابق، ص:21

[4]– ينظر: الإمام الهمام قطب الأقطاب مولانا أحمد بن عبد الله، **رسائل إخوان الصفاء**، ج/3، ص:114.

الصـوتية بالـدّور المطلـوب منها، أو تُتْبع تلك المـرحلة ببعض التحـركات النطقية الناقصة بوساطة أجـزاء ما فـوق الحنجـرة، فإنّه يسمى صياحا أو أنينا أو ضحكا أو ما أشبهها»([1]).

ومن هنا وجدنا أنّ **ابن جنّي** قد حدّد الحرف والكيفية التي يحدث بها من قبل الإنسان مميّزا في ذلك بينه وبين الصوت مبيّنا علاقتهما ببعضهما، مفسرا لتغيّر الحروف واختلافها عن بعضها ويفرق بينهما الدكتـور **عبد الرحمن بن ابـراهيم الفـوزان** بإدراك بعض الحـواس إذ يقول: «الحرف وحدة تجريدية مرسومة تشمل صوتاً أو أكثر، وقد لا يكون صوتا حينما لا ينطق، وقد يكون صورة مرسومة للصوت. الصوت: هو ما ينتج عن العملية الحركية ذات الأثر السمعي "منطوق"»([2]).

**ج ــ جهـاز النطق :**

وقبل أن نبدأ البحث في مخارج الأصوات عند **ابن جنّي**، رأينا أنّه من الضّروري أن نقوم بعرض بسيط لجهاز النطق عنده ليتسنى بعد ذلك الوقوف على مخارج الأصوات لديه وكيف رتّبها وما هو عددها...

لقد اقتصر دور العلماء والدارسين القدامى **كابن جنّي** وآخرين في حديثهم عن الجهاز النطقي للإنسان على الوصف المجمل في غالبيته بغية تحـديد مخارج الأصـوات ومعـرفتها والتعرف على صفاتها، وهو غاية ما يمكن التوصل اليه في ذلك الزمان في ظل انعدام كلّ العوامل والوسائل المساعدة، مكتفين بما توصلت إليه حواسُّهم المجردة، وعقولهم الراجحة. أمّا بالنسبة للمحدثين فلقد تميزت دراساتهم وأبحاثهم بالدّقة والتفصيل، فتمكنوا من إجراء دراسات مخبرية تشريحية لجهاز النطق مستعينين بوسائل جدّ متطورة سهّلت عملهم وجعلتهم يحددون الأماكن والمواضع التي ينقطع عندها الصوت لتعيين مخرجه بدقة متناهية، وأضحى هذا النّوع من الأبحاث فـي العصر الحديث فرعاً خاصاً في الدراسات الصوتية يعرف بـ: (علم الأصوات العام) ترجمـةً لمصطلح«articulatory or physiological phonetics »([3]) .

---

[1]– الفخراني(ابو السعيد أحمد) ، **البحث اللغوي عند اخوان الصفاء**، مطبعة الأمانة، القاهرة، مصر، ط1، دتح ،1991م ص:113.

[2]– إبراهيم الفوزان، **دروس في النظام الصوتي للغة العربية**، منقولة للفائدة، جامعة الملك سعود، 1428 هـ/2006م.

[3]– كمال بشر، **علم الأصوات**، المرجع السابق، ص:42 .

و**ابن جنّي** لم يخالف من سبقه من الدارسين القدامى **كالخليل وسيبويه** وغيرهما، ممّن درس أعضاء الجهاز النطقي ووصفها بدقّة متناهية مركّزين على الآلية التي يتم التلفظ بها فهم لم يتكلموا عن شيء اسمه جهاز النطق بصفة مباشرة، ولم يستعملوا مصطلح "جهاز النطق" أو غيره للتعريف بآلة النطق هذه، والتي يبدأ تحديدها من أقصى الحلق وينتهي بالشفتين، والذي يتبيّن لنا أنّ الفرد البشري لا يملك جهازاً أو عضوا خاصا بالنطق يقتصر عمله ووظيفته على إنتاج وإصدار الأصوات اللغوية، وحقيقة الأمر هو أنّ الإنسان عندما يتكلم بطريقة إرادية تلقائية تصدر الأصوات من أعضاء مختلفة، تتشارك فيها أجهزة حيوية مختلفة من جسم الإنسان، وذلك ما يفهم من قول (**بروسنان Brosnahan.F**) حين قال:« إن الإنسان لا يملك عضوا مختصا بالكلام وحده وما نسميه أعضاء النطق أو الكلام(organ of speech)، قد تعدّلت وظيفتها لهذا الغرض في فترة متأخرة من تاريخه أمّا وظيفتها الأساسية فهي حفظ حياة الإنسان»([1]).

وما يمكن فهمه من هذا القول هو أنّ الدور الأساسي لهذه الأعضاء هو الحفاظ على حياة الأنسان ابتداءاً، وعليه فإنّ الجهاز النطقي يتشكل من تكامل بعض الأعضاء لجهازين حيويّين في جسم الإنسان هما: الجهاز التنفسي، والجهاز الهضمي. فمن الجهاز التنفسي يأخذ الرئتين، والأنف والقصبة الهوائية، ومن جهاز الهضم يأخذ: الفم، والحلق. وقصارى القول فإنّ بعض الدارسين الغربيين يرون أن جهاز النطق يتكون من ثلاثة أقسام رئيسة هي

ـ **أعضاء التنفس** التي تقدم الهواء الجاري المطلوب لإنتاج معظم الأصوات اللغوية.

ـ **الحنجرة** التي تنتج معظم الطاقة الصوتية المستعملة في الكلام، وتعد بمثابة صمام يعدّل تدفق تيار الهواء.

ـ **التجاويف فوق المزمارية** التي تقوم بدور حجرات الرنين، وفيها تتم معظم أنواع الضوضاء التي تستعمل في الكلام([2]).

---

[1]– Brosnahan F, **Introduction to phonetics** Cambridge.1970. p29.

[2]– malmberg ( bertil) ,**phonetics**.now yor p1963.

ونعود إلى الحديث عن الجهاز النطقي عند القدماء من الدارسين عموما و**ابن جنّي** خصوصا لنجد الأستاذ **رضا زلاقي** يقول: «فصّل اللغويون العرب القدامى تفصيلا وافيا في موضوع النطق ومختلف أعضائه، وهم يتحدثون عن مخارج الحروف وصفاتها، وتعددت مصطلحاتهم في ذلك وتنوعت، ممّا أغنى درسهم الصوتي بكم مصطلحي وافر، لا زالت الدراسات العربية تستعمله إلى اليوم. وتجدر الإشارة إلى أنّهم أطلقوا لفظ "المخارج" على مختلف أعضاء النطق، فذكروا لكلّ حرف مخرجه الخاص، مبينين كيفية حدوثه، وآلية نطقه كما أنّهم بيّنوا جملة المخارج والأحياز»([1]).

وعليه فإنّنا سنبدأ بالحديث عن جهاز النطق كما أشار إليه **ابن جنّي** في كتابه، وسنسعى إلى توضيح ما ذكره في هذا الشّأن، وتفصيل ما فيه من تعميم. والبداية تكون بتحديد العناصر المشكلة لهذا الجهاز

**د ـ الأعضاء المكونة لجهاز النطق:**

**ـ الصدر :**

ونعني به واحداً من أعضاء الجهاز التنفسي كما سبقت الإشارة إلى ذلك، ولقد استعمل **ابن جنّي** مصطلح "الصدر" مرة بالتلميح وأخرى بالتصريح، فلمّح له في قوله : « اعلم أنّ الصوت عَرَض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً » ([2])، والنفس الذي يخرج معه الصوت لاشك أنّه منبعثٌ من الصدر الذي يحوي الجهاز التنفسي الذي يتحكم في حركة الهواء المُتَنَفَّس دخولا للجسم وخروجا منه وصرّح بذكره في قوله :« فلما اختلفت أشكال الحلق والفم والشفتين مع هذه الأحرف الثلاثة اختلف الصدى المنبعث من الصدر»([3])، ويقصد بالصدى المنبعث من الصدر النفس الذي يحمل الصوت، وأشار إليه **الخليل** بكلمة "الجوف " وهو يقصد بها الصدر([4]).

---

[1]– رضا زلاقي، **الصوامت الشديدة في العربية الفصحى [دراسة مخبرية]**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة بن يوسف بن خدة الجزائر،2006/2005م، ص:60.

[2]– ابن جنّي، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:06.

[3]– المصدر نفسه، ج/1، ص:08.

[4]– ينظر: الخليل ابن أحمد، **العين**، المصدر السابق، ج/1، ص:57.

**ـ الحلق :**

لقد عرّف العلماء العرب القدامى الحلق تعريفاً دقيقاً، وحدّدوا مختلف أجزائه، و منهم **ابن جنّي** الذي لم يخرج في ذلك عمّا ذهب إليه سابقوه من تحليل لهذا العضو وتقسيمه، فهم قسموا الحلق إلى ثلاثة اقسام هي: أقصى الحلق، ووسطه، وأدناه. ورغم اختلاف هذه التسميات بين الدارسين إلاّ أنّ جميعها يدلّ على المسميات نفسها، غير أنّ **ابن جنّي** قد فصّل فيما تعرّض له من مخارج الأصوات في قوله: «واعلم أنّ مخارج هذه الحروف ستة عشر: ثلاثة منها في الحلق: فأوّلها من أسفله وأقصاه مخرج الهمزة والألف والهاء،...ومن وسط الحلق مخرج العين والحاء، وممّا فوق ذلك مع أوّل الفم مخرج الغين والخاء»([1])، و هذه التقسيمات نفسها ذكرها **الخليل** و **سيبويه** مع بعض الاختلاف في المصطلحات الدّالة على هذه الأقسام . وخالفهم **ابن جنّي** حين عبّر عن أدنى الحلق بقوله: «ممّا فوق ذلك مع أوّل الفم» ولم يقل أدناه كما هو الأمر عند **الخليل** و**سيبويه**.

**ـ أقصى اللسان :**

تحدث **ابن جنّي** عن ما سمّاه بأقصى اللسان، مشيراً إلى مكانه محددا موضعه بدقّة محترزاً أن يلتبس بشيء من غيره من الأعضاء المكوّنة للجهاز النطقي، فتبيّن من ذلك وقوعه فوق العضو السابق، أي الحلق واقسامه والذي يدلّ على ذلك عبارة " وممّا فوق ذلك" التي كررها في معرض كلامه عن مخارج الحروف، وكان يريد بها ما هو فوق أي أعلى من القسم الذي سبق ذكره، وهو أدنى الحلق أو كما عبّر عنه **ابن جنّي**، ثم حدّد العضو أو الموضع الذي يليه بقوله : « وممّا فوق ذلك من أقصى اللسان مخرج القاف»([2]).

والملاحظ هنا أنّ **ابن جنّي** ذهب في ذلك مذهب **سيبويه** ، المخالف لما ذكره **الخليل** حين اسماه « اللهاة »([3]).

**ـ مقدم الفم :**

وهذا الموضع يأتي حسب **ابن جنّي**، أسفل الموضع الذي يخرج منه القاف وقد تحدّثنا

---

[1]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق ، ج/1، ص:47.

[2]– المصدر نفسه، ج/1، ص:47.

[3]– الخليل ابن أحمد، **العين**، المصدر السابق، ج/1، ص:52.

عنه قبل قليل يقول في ذلك : « ومن أسفل من ذلك وأدنى إلى مقدّم الفم مخرج الكاف »([1]). فيشكل هذا الموضع كلّ من الجزء السفلي لأقصى اللسان ومقدم الفم الذي يعرف عند المحدثين بـ: "الحنك الأعلى " وكما بَيَّنتُه. بيّنه سيبويه، لكن الملفت للنظر أنّ **ابن جنّي** ذكر مصطلح الحنك الأعلى ولم يقصد به ذات الموضع بل كان يريد به موضعاً آخر وهو ما ذكره بعض المحدثين وسمّوه الحنك الأعلى وقسموه إلى أربعة أقسام من بينها: وسط الحنك، وأقصى الحنك([2])، وهذا الأخير هو ما عبّر عنه **ابن جنّي** بمقدم الفم.

**ـ اللسان وأجزاؤه :**

رصد **ابن جنّي** الدّور الأساسي للسان في عملية الكلام وأهمّيّته في إصدار الأصوات والحروف، ثم قسّمه إلى ستة أقسام بغية الوقوف على حقيقة الجهاز النطقي للإنسان، وهي وسط اللسان، ومن أوّل حافة اللسان، وحافة اللسان، ومنتهى طرف اللسان، وطرف اللسان وأخيرا ظهر اللسان، فقال : « ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى، مخرج الجيم والشين والياء. ومن أوّل حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد، إلاّ أنّك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن، وإن شئت من الجانب الأيسر. ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، ممّا فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام ...ومن مخرج النون غير أنّه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام مخرج الراء»([3]).

**ـ الأسنان :**

وهي لا تقلّ أهمّية عن باقي الأعضاء لأنّها تساهم في إخراج العديد من الأصوات اللغوية والذي يوحي بذلك قول **ابن جنّي** حين أشار إلى كلّ أنواع الأسنان فذكر: الأضراس والضاحك والأنياب والرُّباعيّات، والثّنايا([4]).

---

[1]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:47.

[2]– ينظر: خليل ابراهيم العطية، **في البحث الصوتي عند العرب**، منشورات دار الجاحظية للنشر، بغداد، العراق، دط دتح،1973م ص:16،17،18.

[3]– ابن جني، المصدر نفسه، ج/1، ص:47

[4]– نفسه، ج/1، ص:47.

وحظي هذا العضو بقسط كبير من الدراسة والاهتمام لدى القدامى، ووسّعوا في ذلك لمّا أدركوا الدور الذي تقوم به الأسنان في إنتاج الأصوات اللغوية.

**ـ الشفتان :**

تعتبر الشفتان ممّا لا يمكن الاستغناء عنه في جهاز النطـق، كـونهما أحـد الأعضاء الناطقة في الجهاز الصوتي أو النطقي، فإنّهما تساهمان في إنتاج بعض الأصوات اللغوية ويقول في ذلك **ماريو باي** متحدثاً عن الدور الذي تقوم به الشفتان : « ويحدّد اللسان الذي هو أكثر أعضاء النطق قـدرة على الحـركة في العادة مخـرج الصـوت وطبيعته وربما تقـوم الشفتان بهذه المهمـة وحـدها أو مع الأسنـان كمـا في (پ . ب . ف . ڤ )»([1]). أمـّا عنهما معا فقد قـال **ابـن جنـّي:** «ومـن باطـن الشفة السفلى وأطـراف الثنايا العُلا مخرج الفاء ومما بين الشفتين مخـرج الباء والميم والواو»([2]).

والذي نفهمه من قول **ابن جنّي** أنّه جعل للشفتين مكانين تصدر منهما الأصوات وهما: باطن الشفة، والشفتين معاً. والأمر نفسه ذهب إليه **سيبويه** من قبل، وأكدّه المحدثون لمّا تحدّثوا عن الشفتين ودورهما في الكلام.

**ـ الخياشيم :**

وهو ما يسميه البعض بالفراغ الأنفي قال **إبراهيم أنيس** :« وهو العضو الذي يندفع خلاله النفس مع بعض الأصـوات كالميم والنـون، هـذا إلى أنّه يستغل كفـراغ رنان يضخم بعض الأصوات حين النطق »([3])، وذكر **ابن جنّي** الخياشيم حين تحدث عن مخارج الحروف مشيرا إلى أنّها مخرج النون الخفيفة ثم تحدث أيضا عن الأنف والخياشيم مبيّناً ما لهما من الـدور في نطـق بعـض الحـروف وقـال : « ويدلك على أنّ النـون السّاكنة إنّما هي مـن الأنف والخياشيم، أنّك لو أمسكت بأنفك، ثم نطقت بها لوجدتها مختلة. وأما النون المتحركة فمن حروف الفم كما قدمنا، إلاّ أنّ فيها بعض الغنّة من الأنف»([4]).

---

[1]– ماريو باي، **اسس علم اللغة**، عالم الكتاب، تر وتع، د. احمد مختار عمر، ط8 ،1998م، ص:78.

[2]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:48.

[3]– ابراهيم انيس، **الأصوات اللغوية**، المرجع السابق، ص:20.

[4]– ابن جني، المصدر السابق، ج/1، ص:48.

وبعد هذا العرض المبسط لجهاز النطق والأعضاء المكونة له بحسب ما أورده **ابن جنّي** فإنّ أوّل ما يتبادر للأذهان أنّ **ابن جنّي** بالخصوص وغيره من اللغويين القدامى لم يتحدثوا عن بعض الأعضاء النطقية التي لا يمكن إغفالها بشكل أو بآخر في معرض الحديث عن الدراسات الصوتية النطقية بالتحديد، نعني بذلك على سبيل المثال الحنجرة فلم يرد هذا المصطلح عند أحدهم بشكل صريح، و كذلك اللهاة، وغيرهما من المصطلحات الحديثة لكن المتتبع الحذق لما جاء به القدامى عامة و**ابن جنّي** خاصّة يدرك تمام الإدراك أنّه من غير اللائق في حق هؤلاء أن يفوّتوا هذه الجزئيات وهم الذين بلغوا من المنزلة العلمية ما لا يجوز نكرانه حائزين بذلك قصب السبق بشهادة الكثير من الدارسين، ومشهود لهم بالفضل والجميل لما قدموه من إبداع فاق المتوقع في الزمن الذي عاشوا فيه مجردين من كلّ الوسائل والعوامل التي تحقق من النتائج ما كان قد تحقق على أيديهم وغاية ما هنالك أنّ الذي يُمعن النّظر في أعمالهم يتبيّن له أنّهم هم من أَلْهم من جاء بعدهم للتصريح بما لم يسعهم الإفصاح عنه في عصرهم، وبما أنّنا مثّلنا بالحنجرة لما لم يذكروه في أعمالهم، إلاّ أنّهم أشاروا إليها بصفتي الجهر والهمس اللّتين تحدثان نتيجة لحركة الأوتار الصّوتية الموجودة في الحنجرة وفي ذلك دليل على إدراكهم للدور الذي تلعبه الحنجرة في الدراسة الصوتية .

**هـ ـ مخارج الأصوات والحروف عند ابن جنّي:**

وقبل الوقوف على مخارج الاصوات التي أشار إليها **ابن جنّي** في كتابه لا بأس أن نحدّد هذا المفهوم ـ تعريف المخرج ـ فمن باب التحديد المصطلحي، لا شك أنّ لكل علم مصطلحاته وهي المفاتيح التي تمكّن من الولوج لهذا المجال وغيره.

**ـ تعريف المخرج :**

**لغة** :جاء في اللسان «موضع الخروج، يقال خرج مخرجا حسنا وهذا مخرجه»([1])، وفي المعجم الوسيط: «المخرج : موضعُ الخروج،(ج) مخارج، ويقال :هو يعرف موالج الأمور ومخارجها»([2]).

---

[1]– ابن منظور، **اللسان**، المرجع السابق، ج/2، ص:249.

[2]– مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، المرجع السابق، مادة:(اَلْخُرَاجُ)، ص:225.

وذُكر في المعجم الوسيط: « وفي "**علم الأصوات**" :نقطة في مجرى الهواء، يلتقي عندها عضوان من أعضاء النطق التقاءً محكماً مع بعض الأصوات وغير محكم مع أصوات أخرى»([1]).

وأمّا عند الدّارسين المنشغلين بعلم الاصوات فنرى تعريفهم للمخرج يختلف من دارس لآخر وما هنالك من تعريف متفق عليه، فذكر **الخليل** عبارتين للدّلالة على المخرج الأولى هي "مخرج" في قوله : « وقال مرة "ههة" لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء»([2]). وأمّا الثانية فهي "المبدأ" في قوله : «فالعين والحاء والهاء والخاء والغين حلقية لأنّ مبدأها من الحلق»([3])، وأخذت بعض المعاجم الصوتية هذا المفهوم من ذلك ما أورده **العبيدي** في معجمه: عن مخرج الصوت قال: «صيغة مخرج . على زنة مَفْعل . هي اسم مكان خروج الشيء من موضع معين، وسمي المكان الذي يخرج منه الصوت اللغوي في الجهاز النطقي بالمخرج، وكان **الخليل بن أحمد** أوّل من استعمله، كقوله (وأمّا مخرج الجيم والقاف والكاف فمن بين عكدة اللسان، واللهاة في أقصى الفم ) ومن بعده أصبح مصطلحا شائعا واستعملت تسميات كثيرة للمخرج عند الدارسين محدثين وقدامى منها: (الحيّز) (المبدأ) (المدرجة)، (المجرى)، (الحرف)، (المقطع)،(المحبس)، (مكان النطق)، (موضعه) (نقطة النطق)»([4]).

وإذا ما عدنا إلى للحديث عن مخارج الحروف عند **ابن جنّي** فإنّنا نجده قد حذا حذو من سبقوه حيث رتّب مخارج الحروف، والتي يبلغ عددها عنده ستة عشرة مخرجاً تبدأ من أقصى الحلق وتنتهي بالشفتين، هذا ما ذهب إليه **سيبويه** في كتابه وقبله **الخليل بن أحمد** في معجمه([5]).

---

[1]– مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، المرجع السابق، ص:225.

[2]– الخليل ابن احمد، **العين**، المصدر السابق، ج/1، ص:57.

[3]– المصدر نفسه، ج/1، ص:58.

[4]– ينظر: العبيدي (رشيد عبد الرحمن): **معجم الصوتيات**، المرجع السابق، ص:172.

[5]– ينظر: الخليل ابن أحمد، **العين**، المصدر السابق، ج/1، ص:58، وسيبويه، **الكتاب**، المرجع السابق، ج/4، ص:433.

وسنبدأ تفصيل ذلك بقول **ابن جنّي:** «واعلم أنّ مخارج هذه الحروف ستة عشر: ثلاثة منها في الحلق: فأوّلها من أسفله وأقصاه مخرجُ الهمزة والألف والهاء، هكذا يقول **سيبويه** وزعم **أبو الحسن** أنّ ترتيبها: الهمزة وذهب إلى أنّ الهاء مع الألف، لا قبلها ولا بعدها، والذي يدل على فساد ذلك وصحته قول **سيبويه** أنّك متى حركت الألف اعتمدت بها على أقرب الحروف منها إلى أسفل فقلبتها همزة، ولو كانت الهاء معها لقلبتها هاء، وهذا واضح غير خفي»([1]).

**ـ الحيّز الأوّل هو الحلق الذي يحوي ثلاثة مخارج وهي على النحو التالي:**

♦ **أقصى الحلق وأسفله** : مخرج كل من الهمزة والألف، والهاء.

فهذا الترتيب الذي جاء في قول **ابن جنّي** هو الترتيب نفسه الذي يراه **سيبويه**، وهو يختلف في ذلك مع **أبي الحسن** الذي يرى أنّ الهاء مع الألف لا قبلها ولا بعدها وهو ما يرفضه **ابن جنّي** مستدلا على ذلك بما تحدثه حركة الألف حين تقلب همزة مرة وهاء مرة أخرى، وفيه دليل على أنّ الهمزة قبل الألف والهاء بعدها وليست معها.

♦ **وسط الحلق** : وهو ثاني مخرج في الحلق، يخرج منه كلّ من العين والحاء.

وهذا التحديد الدقيق للمخارج مبعثه كما أشرنا إلى ذلك في غير ما موضع دقة الملاحظة والمعرفة الواسعة بدقائق الفن، وكأنّ **ابن جنّي** يتدرج صعودا في الحلق وهو يتحسس أماكن انقطاع الصوت لتحديد الحروف و مخارجها.

♦ **وممّا فوق ذلك مع أوّل الفم** : وهو ما سماه **سيبويه** أدناه وهو مخرج الغين والخاء.

وتحديد **ابن جنّي** لهذا المخرج بقوله وممّا فوق ذلك أي: فوق وسط الحلق صعودا نحو الأعلى باتجاه الفم وهو ما أراده **سيبويه** بقوله: «وأدناها مخرجا من الفم: الغين والخاء»([2])، **فابن جنّي** لم يستعمل كلمة أدنى الحلق ولكن ما يفهم أنّه كان بصدد تحسس المخرج ووصفه لذلك قال ممّا فوق ذلك.

**ـ الحيّز الثاني هو الفم ويضم الكثير من المخارج هي:**

♦ **أقصى اللسان وما فوقه** : وهو مخرج القاف، ويعني بأقصى اللسان أصل منبته وآخر

---

[1]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:46.

[2]– سيبويه، **الكتاب**، المصدر السابق، ج/4، ص:433.

شيء منه مما يلي الحلق، وعندما يرتفع يتسبب في قطع الهواء المار مع ما فوقه من أوّل الفم لينتج صوت القاف.

♦ **مقدم الفم مع ما هو أسفل من أقصى اللسان:** وهو مخرج الكاف.

♦ **من وسط اللسان بينه وبين الحنك الأعلى:** وهو مخرج كلّ من الجيم، والشين، والياء وتسمى الحروف الشجرية.

♦**أوّل حافة اللسان وما يليها من الأضراس** : وهو مخرج الضاد، والتي لها ميزة خاصة دون سواها من الحروف وهي تعدد المخرج يقول **ابن جنّي** : «إلاّ أنّك إن شئت تكلفته من الجانب الأيمن، وإن شئت من الجانب الأيسر»([1]).

ويفهم من قوله أنّ في هذا الحرف مشقة عند إخراجه بخلاف غيره، وهو حرف لا يوجد في غير العربية لذلك سميت به (لغة الضّاد).

♦**حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، من بينها وبين ما بعدها من الحنك الأعلى ما هو فوق الضاحك والناب والرباعية والثنية:** وهو مخرج اللام.

♦ **طرف اللسان وما فوق الثنايا:** وهو مخرج النون.

♦ **داخل ظهر اللسان مع مخرج النون السابق:** وهو مخرج الرّاء.

♦ **بين طرف اللسان وأصول الثنايا:** وهو مخرج كلّ من الطاء والدال والتاء، فكلّها تصدر من نفس المخرج إلاّ أنّها تتميز بصفاتها. وتسمى الحروف النطعية.

♦ **بين طرف اللسان والثنايا:** وهو مخرج حروف الصفير التي هي: الصاد والزاي والسين ويطلق عليها اسم الحروف الأسلية .

♦ **بين طرف اللسان وأطراف الثنايا:** وهو مخرج كلّ من، الظاء والذال والثاء. وهي الحروف اللثوية([2])، هذا عن الفم وما يحتويه من مخارج.

---

[1]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:47.

[2]– ينظر: د. عبد التواب رمضان، **التطور النحوي للغة العربية**، مكتبة الخانجي بالقاهرة، مصر، ط2، دتح، 1994م ص:12.

**ـ الحيّز الثالث: هو الشفتان ويضم بدوره مخرجين هما:**

♦**باطن الشفة السفلى و أطراف الثنايا العليا:** وهو مخرج الفاء .

♦ **بين الشفتين:** وهو مخرج كل من الباء والميم والواو.

إلاّ أنّ من المحدثين من يرى أنّ الواو مخرجها المنسوب للشفتين بعيد عن الدقة في تحديده والأصح «أنّه من أقصى الحنك لأنّ اللسان يقترب من هذا الموضع عند النطق بالواو»([1]).

وهناك من برّر عدم دقّة الملاحظة بقوله: « ويبدو أنّ العلماء العرب قد شغلهم وضع الشفتين في النطق بالواو عن تحسس موضع اللسان مع الحنك، ولعلّ الذي أعان على إغفالهم دور أقصى الحنك واللسان أنّ حركة الشفتين واضحة جدًّا وأنّ اللسان لا يقترب بصورة واضحة من الحنك»([2]).

**ـ الحيّز الرابع وهو الخياشيم:**

ويضُم مخرج واحد هو مخرج النون الخفية يقول **النعيمي:** ومن الخياشيم مخرج النون الخفية ويقال الخفيفة، أي الساكنة. وطبعا هنا ليس المقصود هو النون التي بين اللام والراء ولكن الأمر مختلف، ويفسِّر ذلك ما ذكره **النعيمي** فيما معناه أنّه لا يريد بهذا الوصف اي الساكنة التي تسكن بعد الحرف المتحرك، أو التي تقبل التحريك وهاتان الصفتان لتلك التي سبق الحديث عنها، ولكن يريد النون التي تُسمع خفية أو خفيفة من غير إدغام أو إظهار([3]).

وبذلك نكون قد ألقينا نظرة شاملة لكلّ مخارج الحروف عند **ابن جنّي** والتي يبلغ عددها ستة عشرة مخرجاً، ومن الملاحظ أنّ **ابن جنّي** وضّح بدقّة متناهية الأعضاء المساهمة في تحديد تلك المخارج، فلا تكاد تجد عضوا ما تفرّد بإنتاج صوتٍ لوحده، بل يشترك مع غيره من الأعضاء في إصدار الأصوات، كما أنّك قد تجد العضو الواحد يشتمل على عدد من المخارج كما هو الحال بالنسبة للحلق مثلاً، وترى أحياناً العضو الواحد يشترك مع الكثير من الأعضاء الأخرى كما للسان مثلاً، وممّا يلفت النظر أن تجد للعضو من الأعضاء من الدور ما لم يُتح

---

[1]– ينظر: كمال بشر، **علم الأصوات**، المرجع السابق، ص:165.

[2]– النعيمي حسام، **الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني**، المرجع السابق، ص:310،311.

[3]– ينظر، المرجع نفسه، ص:311.

لغيره، والذي مرّ بنا عند حديثنا عن الحيِّز الثاني وهو الفم، حيث يظهر دوره الأساسي في إنتاج العديد من الأصوات العربية وهذا الذي جعل علماء العربية يقفون على هذا الدور المهم ويطلقون على لغتهم تسمية " لسان" مصداقا لما جاء في التّنزيل من الذّكر الحكيم قوله تعالى: ﴿ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ آعْجَمِيٌّ وَهذَا لِسَانٌ عرَبِيٌّ مُبِيْنٌ﴾([1]).

ويلاحظ أنّ **ابن جنّي** في كثير من الأحيان يربط مخرج الصوت الذي هو بصدد دراسته بالسابق أو اللاحق له من المخارج، ممّا يسبب شيئاً من التداخل والالتباس في نظر بعض المحدثين من الدارسين خاصة في تحديد مخارج الاصوات، وكانوا يعُدّون ذلك من الأخطاء التي وقع فيها القدامى، ومنهم من أرجع الأمر إلى التطور الذي عرفته الأصوات العربية يقول **كمال بشر**: «على أنّه من المهم أن ندرك أنّه من المحتمل أن يكون قد حدث تطور من نوع ما للأصوات العربية من حيث مواضع نطقها منذ زمن **ابن جنّي** إلى وقتنا الحاضر. فقد يفسر الخلاف بيننا وبينه أحياناً على أنّه راجع إلى هذا السبب، وهذا مجرد احتمال على كلّ حال، إذ ليست لدينا أدلّة يقينية تثبت أو تنفي هذا التطور»([2]).

وهناك من أرجع هذا الاختلاف إلى أنّ هناك من القدامى من وصفوا أصواتاً من اللهجات العربية وليس من الفصحى.

وبذلك نكون قد أنهينا الحديث عن مخارج الاصوات الأصلية والفرعية كما حددّها **ابن جنّي** في كتابه وقد تطرقنا بشيء من التحليل لأهم صفاتها الأساس وغير الأساس، وكذا جهاز النطق الذي يحتوي على هذه المخارج، لذلك كان من الضروري أن يولي **ابن جنّي** عناية خاصة له، تمكن القارئ من إدراك العلاقة الحتمية والتلازمية بين جهاز النطق وخارج الأصوات والحروف، وهذا ما سعينا لأجل إبرازه من خلال ما تمت الإشارة إليه من قبل.

---

[1]– **القرآن الكريم، رواية ورش، سورة النحل، الآية 103.**

[2]– كمال بشر، **علم الأصوات**، المرجع السابق، ص:191.

# المبحث الثاني

## تصنيف ابن جنّي للأصوات والحروف

1- تصنيف الأصوات والحروف حسب مخارجها

2- تصنيف الأصوات والحروف حسب صفاتها

3- تصنيف الأصوات والحروف حسب فروعها

**1ـ تصنيف الأصوات والحروف حسب مخارجها :**

من خلال دراستنا لهذا الكتاب القيّم لاحظنا أنّ **ابن جنّي** قد اعتمد في تقسيمه للأصوات اللغوية وتصنيفها على معايير عدّة إذ قال: « وأذكر أحوال الحروف في مخارجها ومدارجها وانقسام أصنافها، وأحكام مجهورها ومهموسها، وشديدها ورخوها، وصحيحها ومعتلها، ومطبقها ومفتحها وساكنها ومتحركها، ومضغوطها ومهتوتها، منحرفها ومشربها ومستويها ومكررها ومستعليها ومنخفضها، إلى غير ذلك من أحكامها وأجناسها»([1]).

فكان تصنيف الأصوات اللغوية عنده باعتبار مخارجها واجناسها وفروعها وهو ما سنحاول الوقوف عليه في هذا المبحث.

وذكر **ابن جني** في مقدمة كتابه ستة عشرة مخرجا وهي مقسمة بين الأعضاء النطقية التي تشترك فيها أحيانا مع بعضها في إصدار العديد من الحروف ويمكن أن نجمل المخارج الستة عشرة في ثلاثة أعضاء هي: الصدر، الحلق والفم وسنقف على تفصيل ذلك في حينه، والتصنيف الذي أشار إليه **ابن جنّي** يمكن تلخيصه فيما يلي:

ــ أصوات مصدرها الحلق وهي: **الهمزة، والألف، والهاء، والعين والحاء، والغين والخاء.**

ــ أصوات تصدر من أقصى اللسان ومقدم الفم وهي: **القاف والكاف.**

ــ أصوات تصدر من الشفتين فقط، وأحيانا بمشاركة الثنايا العليا وهي: **الباء والميم والواو والفاء**

ــ أصوات تصدر من الفم وما يضمه من عناصر كاللسان والأضراس والثنايا وغيرها، وهي ما بقي من الحروف، التي لم تتم الإشارة اليها([2]).

**2ـ تصنيف الأصوات والحروف حسب صفاتها و أجناسها :**

**الصفة لغة** :« وصف الشيءَ له وعليه وصفاً وصفةً : حَلاَّه، وقيل الوصف المصدر والصفة الحلية، قال الليث : الوصف وصفك الشيء بحليته ونعته»([3]).

---

[1]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:04.

[2]– ينظر، المصدر نفسه، ج/1، ص: 46،47،48.

[3]– ابن منظور، **اللسان**، المرجع السابق، ج/9، ص:356.

وجاء في محكم التنـزيل قـوله تعالى: ﴿ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ المُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُوْنَ﴾([1]) أي ما تصفون من الكذب.

أمّا بالنسبة لعلماء اللغة فلم يرد عندهم استعمال كلمة "**صفة**" للدّلالة على سمات ومميّزات الحروف بشكل صريح ومباشر، حيث اكتفى **سيبويه** بذكرها في معرض حديثه عن الحروف حين قال: « وإنّما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصِّفات لتعرف ما يحسن فيه الادغام وما يجوز فيه وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجـوز فيه»([2])، ونفهـم مـن هـذا القـول أنّ **سيبـويه** كان يقصد بالصفات كل ما تعلق بالحروف، من تقسيم وترتيب وتصنيف كما ذكر في مقدمة باب الادغام من كتابه الشهير

وأمّا **ابن جنّي** فقال عنها بقوله: « اعلم أنّ للحروف فـي اختلاف أجناسها انقسامات نذكرها»([3]). فالمقصـود بأجناسها انقساماتها هـو الصّفات التي تتصف بها الأصـوات ولكـن **ابن جنّي** لم يستعمل كلمة "**صفة**" بشكل مباشر.

وقبل أن نبدأ في شرح هذا التصنيف لا بدّ من الإشارة إلى أنّ هناك نوعين من الصفات

**الأول:** وهو ثنائي ونعني به التقابل . أي أنّ هناك صفات متقابلة فيما بينها لتشكل ثنائيات مثلا: **الجهر/الهمس** .

**الثاني:** الأحادي ونعني به الصفات الفردية التي ليس لها ما يقابلها مثل الانحراف، والذلاقة وغيرهما، وسنبدأ تفصيل ذلك بالصفات الثنائية ونختمه بالأحادية.

**أ ـ الصفات الثنائية:**

وحصرها ابن جنّي في سبع صفات هي:

**ـ الجهر/الهمس:**

يعرف **ابن جنّي** الجهـر بقوله: « فمنعى المجهور: أنّه حرف أُشبع الاعتماد في موضعه ومنع النّفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصـوت، وأمّا المهمـوس فحـرف أُضعف الاعتماد في موضعه حتى جـرى معه النفس وأنت تعتبر ذلك بأنّه قد يمكنك تكـرير

---

[1]– **القرآن الكريم، سورة يوسف، براوية ورش عن نافع، الآية 18.**

[2]– سيبويه، **الكتاب**، المرجع السابق، ج/4، ص:436.

[3]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:60

الحرف مع جري الصوت نحو: سَسَسَ كَكَكَكَ هَهَهَهَ، ولو تكلفت مثل ذلك في المجهور لما أمكنك»([1]).

ولم يخرج **ابن جنّي** في تعريفه لصفتي الجهر والهمس عمّا قاله **سيبويه** قبله، حيث ركز اهتمامه في كليهما على اشباع الاعتماد وعدمه في موضع الحرف وكذلك جريان النفس ولكنّ الأمر مخالف في جوهره عند المحدثين ومنهم **إبراهيم أنيس** مثلا الذي يقول في الجهر والهمس: «فالصوت المجهور هو الذي يهتز معه الوتران الصوتيان "ويقول عن المهموس:" فالصوت المهموس هو الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان ولا يسمع لهما رنين حين النطق به»([2])، والملاحظ هو أنّ **ابن جنّي** ومن سبقه قد تميّزوا بإدراك الظواهر الصوتية وكيفية حدوثها تماماً مثلما توصل إليه العلم الحديث، بوسائل دقيقة وأجهزة خاصة.

وبالنسبة للأصوات المهموسة فقد عدّها **ابن جني** عشرة أصوات مجموعة في قوله: "سَتَشْحَثُكَ خَصَفَة". وها هي ذي كما وردت: الهاء والحاء والخاء، والكاف والشين والصاد والتاء والسين والثاء، والفاء. أمّا التسعة عشرة الباقية فكلها مجهورة إلاّ أنّه يستثني حرفي الميم والنون باعتماد لهما في الفم والأنف مما يجعل فيهما غنة لا توجد في غيرهما([3]).

**ـ الشدة/الرخاوة:**

يعرّف **ابن جنّي** الشديد بقوله: «إنّه الحرف الذي يمنع الصوت من أن يجري فيه، ألا ترى أنّك لو قلت: الحق. والشط، ثم رُمت مدّ صوتك في القاف والطاء لكان ذلك ممتنعاً. ثم يعرف الرّخو فيقول: هو الذي يجري فيه الصوت، الا ترى أنّك تقول: المس والرش، والشح، ونحو ذلك فتمدّ الصوت جاريا مع السين والشين والحاء»([4]).

وإذا ما عدنا إلى العصر الحديث فإنّنا نجد **عبد الواحد وافي** يقول في "الشديد" و"الرخو" و"التوسط": « يقصد بالشدّة تمام إحصار الصوت عند إسكانه، وبالرخاوة تمام جريه عند إسكانه والتوسط هو منزلة بين تمام الانحصار وتمام الجري»([5]).

---

[1]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق ، ج/1، ص:60

[2]– ابراهيم انيس، **الأصوات اللغوية**، المرجع السابق، ص:22،21.

[3]– ينظر: ابن جني، المصدر السابق، ج/1، ص:60.

[4]– المصدر نفسه، ج/1، ص:61.

[5]– وافي علي عبد الواحد، **فقه اللغة**، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة، مصر، ص:130.

وعدد الأصوات الشديدة هو ثمانية مرتبة على هذا الشكل: الهمزة، والقاف، والكاف والجيم، والطاء، والذال، والتاء، والباء، وهي مجموعة في اللفظ " أجدت طبقك".

وإلى جانب ما ذكرنا من آراء **ابن جنّي** في الشدّة والرخاوة نجده يضيف صفة ثالثة متوسطة بين الشدة والرخاوة بمعنى أنّ هناك حروفاً ليست بالشديدة قطعا ولا بالرخوة قطعا فهي لم تستوف الشدّة ولا الرخاوة، ويبلغ عددها ثمانية أحرف أيضا وهي: الألف، والعين والياء، واللام، والنون والراء، والميم، والواو، يجمعها في اللفظ قولك : "لم يُروِّعْنا" وإن شئت قلت: "لم يَروِعنَا" أما باقي الحروف غير الشديدة والمتوسطة ـ بين الشدة والرخاوة ـ فهي الرخوة([1])، ويبلغ عددها ثلاثة عشرة حرفا وهي :الثاء، والحاء، والخاء، والذال، والزاي، والسين والشين، والصاد، والضاد، والظاء والغين، والفاء، والياء.

**ـ الإطباق/ الانفتاح:**

وهما صفتان أخريان تُضمان للصفات الثنائية الأخرى، والتي سبقت الإشارة اليها.

فالإطباق عند **ابن جنّي** هو: «أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقا له»([2])، وعند **سيبويه:** «...فأمّا المطبقة فالصاد، والضاد والطاء، والظاء...وهذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهنّ إلى ما حاذَى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك إذا وضعت لسانك، فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف»([3])، ويفهم في هذا التّحديد ضرورة إطباق ظهر اللسان مع الحنك الأعلى كي تتمكن من إصدار هذه الحروف، ويؤكّد ذلك قول **النعيمي:** «ونفسر الإطباق بأنّه إسهام طبق اللسان وإن شئت ظهره من أقصاه وأدناه مع الحنك من أقصاه وأدناه في إخراج الحرف»([4]).

والحروف المطبقة كما قال **ابن جنّي** و**سيبويه** قبله أربعة وهي: **الضاء**، و**الطاء**، و**الصاد** و**الظاء**، وما سواها فهو مفتوح.

---

[1]– ينظر: ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق ، ج1/، ص:61.

[2]– المصدر نفسه، ج/1، ص:61.

[3]– سيبويه، **الكتاب**، المرجع السابق، ج/4، ص:436.

[4]– النعيمي، **الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني**، المرجع السابق، ص:318.

وتساعد صفة الاطباق على التفـريق بين الحـروف المتشابهة التي تشترك في بعـض الصفات كحـرفي السين والصاد فكلاهما مهمـوس لكنّ ما يميِّـزُهما أنّ الصّاد مطبقة على عكس السّين، وهـذا ما أشار إليـه **ابن جنّي** في قـوله: « ولولا الإطباق لصارت الطـاء دالاً والصّاد سيناً، والظاء ذالاً ولخرجت الضّاد مـن الكلام؛ لأنّه ليس من مـوضعها شيء غيرها تزول الضّاد إذا عدمت الإطباقَ إليه»([1]).

**ـ الاستعلاء/ الانخفاض:**

وممّـا تتصف به بعض الحـروف العـربية صِفتي **الاستعلاء** و**الانخفاض**، حيث يعـرّف **ابن جنّي** الاستعلاء بقوله:« ومعنى الاستعلاء أن تَتَصَعَّد في الحنك الأعلى »([2])، ويعني به ارتفاع مؤخر اللسان إلى الحنك الأعلى، يقول في ذلك الدكتور **ابراهيم العطية** :« وهذا تقسيم آخر عـرفه البحث الصـوتي عنـد العـرب للأصوات العربية تفـرّد به العلماء العـرب، وأقـره المحدثـون منهم، يهدف إلى تقسيمها مـن حيث ارتفـاع مـؤخّرة اللسان صـوب الحنك الأعلى أو انخفاضها عنه، فالأصوات التي يتم معها ارتفاع مؤخرة اللسان سميت عندهم بالمستعلية وتشمل أصـوات : **الخاء** و**الغين** و**القاف** و**الضاد** و**الطاء** و**الصاد** و**الظاء** وما عـداها دُعـي بالمستفلة والمنخفضة»([3])، وما يفهم من هذا القول أنّه ما خرج عن هذه الحروف السبعة فهو **منخفض**، يعني أنّ مؤخر اللسان فيها لا يرتفع صوب الحنك الأعلى.

**ـ الصحة/ الاعتلال:**

والذي يقصده **ابن جنّي** من ذكر هذه الصفة هو ما يعتري بعض الحروف من تغيير حال نطقها واتساع مخرجها فلا يكاد الصوت فيه يُقطع عن امتداده واستطالته، وهو ما يعرف **بالاعتلال** أي التغير الذي يلحق بعض الحـروف سـواء في مخارجها أو فـي درجـة امتدادها. أمّا **الصحة** فهي حالة الاستقـرار والثبات التي تكـون عليها غالبية الحـروف العـربية مهما

---

[1]– ابن جني، **سر صناعة الإعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:61.

[2]– المصدر نفسه، ج/1، ص:62.

[3]– خليل ابراهيم العطية، **في البحث الصوتي عند العرب**، المرجع السابق، ص:57.

تغيـرت أوضاعها، وهذه الحـروف هي التي قال عنها **ابن جنّي**:« فجميع الحـروف صحيح إلا الألف والياء والواو اللواتي هن حروف المدّ والاستطالة»([1]).

وعن العلّة يقول **ابن جنّي** «ولو لم يُعْلم تمكّن هذه الحروف في الضّعف إلاّ بتسميتهم إيّاها حروف العلّة لكان كافيا. وذلك أنّها في أقوى أحوالها ضعيفة؛ الا ترى أنّ هذين الحرفين إذا قويا بالحركة فإنّك حينئذ مع ذلك مُؤنِس فيهما ضعف... يؤكد ذلك عندك أنّ أَذْهب الثلاث في الاعتلال والضعف الألف»([2]).

**ــ الحركة / السكون:**

يرى **ابن جنّي** الحروف من حيث الحركة والسكون أنّهما على ضربين: ساكن ومتحـرك **فالسـاكن** عنده: «ما أمكن تحمِيلُه الحركات الثلاث نحو كاف "بَكْرٍ" وميم "عَمْـرو"؛ ألا تـراك تقـول: بَكَر وعَمَرو، وبَكِر وعَمِرو، وبَكُرو عَمُرو، فلمّا جاز أن تحمّله الحركات الثلاث علمتَ أنّه قد كان قبلها ساكناً. و**المتحرك**: هو الذي لا يمكن تحميلُه أكثر من حركتين؛ لأنّ الحركة التي هي فيه قد استغنى بكونها فيه عن اجتلابها له، وذلك نحو ميم "عُمَر"، يمكن أن تحمّلها الكسرة والضمة، فتقول: عُمِر وعُمُر، ولا يمكنك أن تجتلب لها فتحة، لأنّها قد كانت في أول اعتبارك إيّاها مفتوحة، والحرف الواحد لا يتحمّل حركتين، لا متفقتين ولا مختلفتين»([3]). ويفهم من كلامه أنّ الحرف الساكن في الأصل يمكنه تحمّل كل الحركات. أمّا الحرف المتحرك فهو الحـرف الذي لا يقبل أكثـر من حـركتين لأنّ الثالثة كانت أصلية فيه، وليـس هناك ضـرورة لاجتلابها مرة أخرى.

**ــ الأصـل /الـزيادة :**

ومـن التصنيفات التي ذكـرها **ابن جنّي** لِلحـروف أن جعل منها حـروف **أصلية** وأخـرى **زائدة** فالأصلية التي تقع: فاءاً أوعيناً أو لاماً للكلمة وهي غالبية الحروف، أمّا الـزّائدة فيعـني بها الحـروف التي لا تأتي في المـواضع الأصلية من الكلمة، أي لا تقـع فاء، ولا عيناً، ولا لاماً للكلمة، وهـذا ليس كلاماً قطعياً فهناك من حـروف الـزّيادة ما يكـون أصلاً، وهناك مـن

---

[1]– ابن جني، **سر صناعة الإعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:62.

[2]– ابن جني، **الخصائص**، المصدر السابق، ج/2، ص:291.

[3]– ابن جني، **سر صناعة الإعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:27.

الدارسين من جعل للزّيادة شروطاً ومقاييسَ، وهذا ما نقله **ابن جنّي** عن **أبي عثمان المازني** في قوله : «وقول أبي عثمان: باب ما تجعله زائدا من حروف الزيادة، يريد به أنّ حروف الزيادة ليست في كل موضع تكون زائدة، ولو كانت في موضع زائدة لما احتاج إلى تحديد المواضع ولحدّد الحروف وحدها»([1]) وعدد حروف الزيادة عند **ابن جنّي** عشرة وهي: « الهمزة والألف، والياء، والواو، والميم، والنون والسين والتاء، واللام، والهاء، ويجمعها في اللفظ قولك: "**اليومَ تنساه** "، وإن شئت قلت: "**هَويتُ السِّمان**" وإن شئت قلت : "**سألتمونيها**"»([2]). ويقول **ابن جنّي** أيضا عن حرف الصاد :« الصاد حرف مهموس، يكون أصلا وبدلا لا زائدا فيكون فاء وعينا ولاما. فالفاء نحو صُبْحٍ وصَبَر، والعين نحو قَصْرٍ وقَصُرَ، واللاّم نحو حَفْصٍ وفَحَصَ»([3])، وعمّا يجمع بين الأصالة والزيادة يشرح **ابن جنّي** بقوله: «السين حرف مهموس، يكون أصلا وزائدا، فإذا كان أصلا وقع فاء وعينا ولاما فالفاء نحو سَلْمٍ وسَلِمَ، والعين نحو حُسْن وحَسُنَ، واللام نحو جَرْسٍ وجَرَسَ. وإذا كانت زائدة ففي استَفْعَلَ وما تصرف منه نحو استخرجَ ومُستخرجْ، واسْتَقْصَى ويَسْتَقْصي، وهو مُسْتَقْصٍ»([4]).

**ب ـ الصّفات المفردة:**

وقبل البدء في بيان تفصيل ذلك، ننوّه بقدرات **ابن جنّي** الفذّة ومعرفته الواسعة واحاطته الشاملة وملاحظته الدقيقة، وعلمه بالقضايا الصوتية في زمانه . وقد ذكرنا منها ما تيسّر في الصفحات السابقة.

وإذا عدنا لإتمام ما بدأناه من ذكر الصفات المفردة وجدنا فيها ما يخص حرفا واحدا فقط ومنها ما يخص حروفا عدّة، وسنبدأ بالتي تخص الحرف الواحد ثم التي تخص حروفا عدة

**ـ الحرف المنحـــرف:**

ويَذْكُر من التّصنيفات والتّقسيمات للحروف واحداً يسميه **الحرف المنحرف**، ويعرفه

---

[1]– ابن جني، **المنصف في شرح التصريف**، تح: ابراهيم مصطفى وعبد الله أمين، ادارة احياء التراث القديم، د تا، ج/1 ص:99.

[2]– ابن جني، **سر صناعة الإعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:62.

[3]– المصدر نفسه، ج/1، ص:209.

[4]– نفسه، ج/1، ص:197.

بقوله: «لأنّ اللسان ينحرف فيه مع الصوت، وتتجافى ناحيتا مستدقّ اللسان عن اعتراضهما على الصوت، فيخرج الصوت من تينك الناحيتين، وما فويقهما: وهو اللام»([1]).

ومن خلال هذا التعريف نرى أنّ **ابن جنّي** قد وصف الكيفية التي يكون عليها اللسان أثناء التلفظ والنطق بحرف اللام ويسميها "**الانحراف**"، ويراها تخص حرف اللام دون غيره موافقاً لما ذكره **سيبويه** حين قال: «ومنها **(المنحرف)**، وهو حرف شديد، جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت، ولم يُعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة، وهو اللام. وإن شئت مددت فيها الصوت وليس كالرخوة لأنّ طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه. وليس يخرج الصوت من موضع اللام ولكن من ناحيتي مُسْتَدَقِّ اللسان فوَيْقَ ذلك»([2])، ويوافقُهما الرأي **خليل ابراهيم العطية** في وصف الانحراف بقوله: «خروج الهواء من أحد جانبي اللسان أو كليهما معا، ولذلك يسمي عند المحدثين " Latéral"»([3]).

**ـ الحرف المكـــرر:**

يقول **ابن جنّي** في ذلك : « ومنها المكرّر، وهو الراء، وذلك أنّك إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكرير، ولذلك احتُسب في الإمالة بحرفين»([4])، فلا شك أنّ **ابن جنّي** يشير إلى حركة اللسان المتكررة بسرعة ولذلك سُمّي الحرف بصفته.

ويقول **سيبويه** معللا جريان الصوت فيه أنّه لذات الصفة وهي التكرار ويؤكد بقوله: «ومنها (المكرّر) وهو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام، فتجافى للصوت كالرِّخوة ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه، وهو الراء»([5])، وهذه الصفة خاصة بحرف الرّاء كما هو واضح من التعريفين، وسمي كذلك لأنّه يصبح راءين عند النطق به، كما أنّ طرف اللسان يتذبذب ويحول دون إدغامها في اللام والنون، وكلما شدّدته اجليت الصفة فيه أكثر([6]).

---

[1]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:63.

[2]– سيبويه، **الكتاب**، المصدر السابق، ج/4، ص:435.

[3]– خليل ابراهيم العطية، **في البحث الصوتي عند العرب**، المرجع السابق، ص:60.

[4]– المرجع نفسه، ج/1، ص:63.

[5]– سيبويه، **الكتاب**، المرجع السابق، ج/4، ص:435.

[6]– ينظر: العبيدي، **معجم الصوتيات**، المرجع السابق، ص:193

ويذكر **ابراهيم العطية** «ويراد بالتكرير ملاحظة الضربات المتلاحقة التي تصحب نطق الراء ولذلك يسميه المحدثون"Rolled "»([1]).

**ـ الحرف المهتوت :**

ومن أصناف الحروف عند **ابن جنّي** ما سمّاه **المهتـوت** وهي صفة تخص حـرف **الهاء** فقال: « ومن الحروف المهتوت، وهـو **الـهاء**، وذلك لما فيها من الضعف والخفاء»([2]) مع التركيز على حالة الصوت عند التلفظ بحرف الهاء و ما يصحبه من ضغط وضعف. ويعقّب **خليـل إبراهيم العطية** معرفا **الهتّ** في اللغة بأنّه «عصر الصوت وأقدم من اصطلح عليـه **الخليل**، وعـدّه **ابن جنّي** صفة الهاء»([3])، ونلحـظ شيئـاً مـن الاختلاف بيـن **الخليـل** و**ابن جنّي**، فالأوّل جعلها صفة للهمـزة والآخـر جعلها صفـة للهـاء، ولِمَا فـي الحـروف من الخفاء يقـول القيسي: «الحـروف الخفية: وهي أربعة: (الهاء) وحروف المد واللين* المتقدمة الذّكر، وإنّما سمّيت بالخفية، لأنّها تخفى في اللّفـظ إذا انـدرجت بعـد حـرف قبلها، إنّمـا لفظها في (هـذا) خفِيَ بين حـرفين، أو بعد حرف أو حروف (هواء)»([4]).

**ـ الحروف المشربة :**

إلى جانب ما تم ذكره من الصفات والتصنيفات المتعلقة بحروف المعجم والتي تخص الحرف الواحد نقوم الآن ببيان ما تختص به حروف عدة، والبداية مع **الحروف المشربة.**

ونبدأ بتحديد معناها ودلالتها في المعاجم اللغوية.

جاء في لسان العـرب: «الإشـراب في اللغة مصـدر الفعل أشـرب ومعنى الاشـراب المخالطة»([5]).

---

[1]– خليل ابراهيم العطية، **في البحث الصوتي عند العرب**، المرجع السابق، ص:60.

[2]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:64.

[3]– خليل ابراهيم العطية، المرجع السابق ، ص:61.

*– حروف المد واللين هي، الالف والواو والياء، ينظر، حسام النعيمي، **الدراسات اللهجية والصوتية**، المرجع السابق ص:325

[4]– القيسي (مكي أبي محمد بن أبي طالب)، **الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة**، تح: د. احمد حسن فـرحات دار عمار، الأردن، عمان، ط3، 1996م، ص:127.

[5]– ينظر: ابن منظور، **اللسان**، المرجع السابق، مادة، شرب، ج/1، ص:491.

وفي المعجم الوسيط: «أشرب اللون غيرَه خلَطهُ به، وأشرب قلبه حب الايمان»([1]).
فالمشربة تعني في اللغة مُخالطةُ شيء لشيء آخر، أمّا **ابن جنّي** فيقول: « وأعلم أنّ في الحروف حروفاً مُشْرَبة تُحْفَزُ في الوقف، وتُضْغَط عن مواضعها»([2])، وهو قول **سيبويه** نفسه « وأعلم أنّ من الحروف حروفا مُشْرَبة ضُغِطَت من مواضعها، فإذا وقفتَ خرج معها من الفم صُوَيْتٌ ونَبَا اللسان عن موضعه»([3])، وتظهر هذه السمات في ثلاثة أنواع من الحروف وهي:

**ـ حروف شديدة الحفز(حروف القلقلة):**

«لا تستطيع الوقوف عليها إلاّ بصوت، وذلك لشدّة الحَفْز والضّغط، وذلك نحو: الحقْ واذهبْ واخلِطْ واخرجْ، وبعض العرب أشدّ تصويتاً»([4])

وهذه الحروف هي: **القاف**، و**الجيم**، و**الطاء** و**الدال** و**الباء**. هذا ما يتعلق بحروف القلقلة.

**ـ حروف متوسطة الحفز:**

حرُوف يخرج معها عند الوقف عليها نحو النّفخ إلاّ أنّها لم تضغط ضغط الأُول وهي: **الزاي، والظاء، والذال، والضاد**، وبعض العرب أشدّ تصويتا.

**ـ حروف لم تضغط وليس فيها حفْز:**

وهو صنفٌ لم يضغط، ولم يجد منفذاً عكس الأوّلين تماما، اللّذين كان فيهما ضغط رغم اختلاف درجته، يقول عنه **ابن جنّي**:« ومن الحروف مالا يتسع بعده شيئاً ممّا ذكرناه لأنّه لم يضغط، ولم يجد منفذا، وهي: **الهمزة، والعين، والغين، واللام، والنون، والميم**»([5]).

و يَخلُص **ابن جنّي** إلى أنّ النّوعين الأوّلين اللّذين يسمع فيهما عند الوقف صوتٌ، في حالة وصلها وإدراجها في الكلام زال ذلك الصوت واختفى، وعلّة ذلك أنّك متى شرعت في تلفُّظ صوت آخر غير الأوّل فإنّه يُشْغِلك عن إتباع الحرف الأوّل الصوت الذي كنت قد

---

[1]– ينظر: مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، المرجع السابق، ص:477.

[2]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:64.

[3]– سيبويه، **الكتاب**، المصدر السابق، ج/4، ص:174.

[4]– ابن جني، المصدر السابق، ج/1، ص:64.

[5]– نفسه، ج/1، ص:64.

عهدت سمعهُ عند وقفك على تلك الحروف وهي منفرد، ومثال ذلك عنده نحو قولك: خُذْها وحُزْه واخْفِضْه واحفَظْه، لكنّ الصوت لا ينحصر عند هذه الحروف التي جاءت في الأمثلة كانحصاره مع حروف النوع الثالث من أنواع الحروف المشربة، كالهمزة، والعين،...([1]).

**ـ حـروف الذلاقة :**

وسمِّيت بذلك لاعتماد مخارجها على **ذَلق اللسان**، وهـو صـدره وطَـرَفه، جاء هـذا في قـول **ابن جنّي** وهـو نفسه ما ذكره **الخليل** إذ قال: «اعلم أنّ الحـروف الذُّلْقَ والشَّفَـوِيَّة ستة وهي: **ر، ل، ن ف ب، م**، وإنّما سُمِّيَت هذه الحـروف ذُلقا لأنّ الذلاقة في المنطق إنّما هي بطـرف أسَلة اللسان والشفتين وهمـا مدرجتا هذه الأحـرف الستة»([2])، ويقـول **مكّي**: « ومعنى الحروف المذلقةِ: على ما فسّره الأخفش: أنّها حروف عملُها وخروجها من طرف اللسان وما يليه من الشفتين، وطـرفُ كلِّ شيءٍ: ذَلِقُهُ، وسمِّيت بذلك إذ هي مـن طَرَفِ اللِّسان، وهو ذَلِقُهُ وهي أخفُّ الحروف على اللسان وأحسَنُها انشراحا، وأكثرها امتزاجا بِغَيْرِها»([3])، ولهذه الحروف شأنٌ عظيم في اللغة فلا تكاد تجد اسما رباعياً أو خماسيا خاليا من حروف الزيادة إلاّ وفيه شيء من هذه الحروف، ومتى وجدت كلمة رباعية أو خماسية خالية منها، فأجزم أنّها غير عربية وهو قليل.

**ـ الحروف المصمتة:**

أشار إليها **ابن جنّي** بأنّها باقي الحروف غير المذلقة وسمّيت هذه الحروف بالمصمتة لأنّه لا تبنى بها لفظة رباعية أو خماسية. لما فيها مـن الثقل، ومتى وجدت كلمة مـؤلفة مـن هذه الحروف رأيت فيه ثقلا، في حين تعني الذلاقة هنا الخفة والـرّشاقة وهي تـدخل الصيغـة الرباعية والخماسية لثقل هاتين الصيغتين.

ويذكر **خليل ابراهيم** في تعريفه للحروف المصمتة قولا **لشهاب القسطلاني** ساقه في كتابه "لطائف الإشارات" نصه: «أصمتت أي منعت مـن أن تختـص ببناء كلمـة في لغة العـرب

---

[1]– ينظر : ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:64.

[2]– الخليل ابن احمد، **العين**، المصدر السابق، ج1/، ص:51.

[3]– مكي ابي محمد، **الرعاية لتجويد القراءة**، المرجع السابق، ص:136.

اذا كثرت حروفها، لاعتياصها على اللسان، فهي حروف لا تنفرد بنفسها في كلمة أكثر من ثلاثة أحرف حتى يكون معها غيرها من الحروف المذلقة»([1]).

وما نستنتجه هو أنّ الحروف المصمتة هذه (ر، ل، ن، ف ب، م) لا يمكن اجتماع أكثر من ثلاثة منها في كلمة واحدة كونها ثقيلة على اللسان، لذلك وَجب أن يشاركها شيء من حروف الذلاقة تفاديا للثقل، وإن حدث وصادفتك كلمة رباعية أو خماسية خالية من أحرف الذلاقة فأعلم أنّها دخيلة أو شاذة يقول **ابن جنّي**: «ولذلك سمّيت الحروف غير هذه الستة "مُصْمَتةً" أي: صُمت عنها أن تبنى منها كلمة رباعية أو خماسية مُعرّاة من حروف الذلاقة. وربما جاء بعض ذوات الأربعة مُعَرّى من بعض هذه الستة، وهو قليل جداً، منه: العَسْجَد والعَسْطُوس، والدَّهْدقة والزَّهْزَقة. على أنّ، العين والقاف قد حسَّنتا الحال لنصاعة العين ولذاذة مُستَمعها، وقوة القاف وصحة جرسها، ولا سيما وهناك الدال والسين، وذلك أنّ الدال لانت عن صلابة الطاء، وارتفعت عن خفوت التاء والسين أيضاً لانت عن استعلاء الصاد، ورقَّتْ عن جهر الزاي، فعَذُبت وانسلَّتْ»([2]).

**3 ـ تصنيف الأصوات والحروف حسب فروعها:**

يُحدِّثنا **ابن جنّي** عن قسمين من الفروع وهذا ما يتّضح من تسميته لباب أسماء الحروف يذكر ...وفروعها المستحسنة وفروعها المستقبحة، ومصطلح (فروع ) الذي استعمله **ابن جنّي** يدلّ دلالة صريحة على أنّ هذا الفرع متولد عن الأصل، فالأصول هي حروف العربية التسعة والعشرون كما عدّها هو وأحصاها في كتابه، وكل ما زاد عن هذا العدد ممّا ذكره فهو فرع واللاّفت للنظر أنّ هذه الحروف الفروع لا تظهر بشكل واضح وجلي بل يتم الوقوف عليها في أثناء الكلام وتداوله كما يعتقد **سيبويه** حيث قال: « وهذه الحروف التي تَمَّتْها اثنين وأربعين جيّدُها ورديئُها أصلها التسعة والعشرون، لا تُتَبيَّنُ إلاَّ بالمشافهة»([3])، وسنبيّن هذين الفرعين الآن بدءًا بالمستحسنة منها.

---

[1]– خليل ابراهيم العطية، **في البحث الصوتي عند العرب**، المرجع السابق، ص:53.

[2]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:65.

[3]– سيبويه، **الكتاب**، المصدر السابق، ج/4، ص:432.

**أ ـ الفروع المستحسنة :**

يقول **ابن جنّي** في حديثه عن ذكر الأصوات الفروع :« واعلم أنّ هذه الحروف التسعة والعشرين قد تلحقها ستة أحرف تتفرع عنها، حتى تكون خمسة وثلاثين حرفا. وهذه الستة حسنة يُؤخذ بها في القرآن وفصيح الكلام، وهي النون الخفيفة، ويقال الخفية، والهمزة المخففة وألف التفخيم، وألف الإمالة، والشين التي كالجيم، والصاد التي كالزاي»([1]).

يعني أنّ هذه الحروف مستحسنة وتصحّ بها قراءة القرآن، لذلك كثر استعمالها في كلامهم وسيأتي تفصيل لذلك في حينه.

**ب ـ الفروع المستقبحة :**

وهي التي لا يعتدُّ بها في قراءة القرآن ولا في الشّعر، ولا تكون إلاّ في اللغة الضعيفة الرديئة وهي: «الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشين والضاد الضعيفة، والصاد التي كالسين، والطاء التي كالتاء، والظاء التي كالثاء، والباء التي كالميم، ولا يصح أمر هذه الحروف الأربعة عشر اللاحقة للتسعة والعشرين، حتى كمّلتْها ثلاثة وأربعين، إلاّ بالسّمع والمشافهة»([2])، و قيل أيضا فيها :« وهي أصوات مزيدة على الحروف التسعة والعشرون، وهي مستقبحة، ولا يؤخذ بها في قراءة القرآن الكريم، ولا في تصحيف الكلام، وإنّما توجد في لهجات رديئة ضعيفة»([3]).

---

[1]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:46.

[2]– المصدر نفسه، ج/1، ص:46.

[3]– العبيدي، **معجم الصوتيات**، المرجع السابق، ص:44.

# الفصل الثالث

# مظاهر التّجديد عند ابن جنّي

## تــوطئـة:

بعد ما أنهينا الحديث في الفصل الثاني عن منهـج **ابن جني** في دراسة الأصـوات وتصنيفها وفيه بيّنا الطريقة التي اتبعها في كتابه "**سرّ صناعة الاعراب**" بـدءاً من تعـريفه للأصوات والحروف وتحديد مخارجها، وصفاتها ثم تصنيفها وفق منهج علمي إتّسم بالترتيب والتسلسل المدعوم بالتحليل والتفسير والتعليل المنطقي الذي من شأنه إقناع القارئ وكسب ثقة الباحث، سنسعى في هذا الفصل إلى الوقوف على إضافات **ابن جنّي** في هذا الحقل لكونها مظهرا من مظاهر التّجديد عنده. كان من الواجب علينا الوقوف مطولا عند هـذا الفصل، وهدفنا في ذلك إبراز تلك المظاهر التّجديدية التي جاء بها **ابن جنّي** لما لها من الدور في الارتقاء بالصوتيات العربية وتطـويرها، وسبيلنا في ذلك إحصاء هـذه المظاهـر وتـرتيبها، ثم تحليلها للوقوف على مواطن الجدَّةِ فيها واكتشاف حقيقة ما أضافه هذا اللغوي المتميّز الذي كان له شـرف اطلاق هذه التسمية "**علم الأصوات**" التي لاتـزال متـداولة إلى يـومنا هـذا. و**ابن جنّي** بفضـل اهتمامه بمجـال الصـوتيات قـدّم أعمالاً اجتهادية لم يُسبـق لهـا مـن قبل وذلك مـن خلال المنهج الـذي انتهجه في دراسة الأصـوات والحروف وهـذا ما جاء ذكـره في القـول التالي:« وما علمت أنّ أحـدا من أصحابنا خاض في هـذا الفنِّ هـذا الخوض، ولا أشبعه هذا الاشباع، ومـن وجـد قولاً قاله، والله عزّ وجلّ يعين على الصـواب بقدرته»([1]).

[1]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:56

# المبحث الأول

## الدراسة الصوتية للأصوات والحروف

1- الصـــوت/ الحـــرف

2- تذوق أصوات الحروف

3- تشبه الحلق والفم ببعض الآلات الموسيقية

4- الحركات أبعاض حروف المد

5- مرتبة الحركة من الحرف

سنسعى من خلال هذا المبحث للوقوف على ما خصّ به ابن جنّي الدرس الصوتي من تجديد وإضافة لم يعرفا من قبل، وما الفائدة التي خلصت اليها الدراسة في مجال الدرس الصوتي وكلّ ذلك بعد، ترتيب ما اعتبرناه تجديدا وتحليله.

## 1 ـ الصوت /الحرف:

إنّ أوّل إضافة **لابن جنّي** في الدرس الصوتي تعلقت بالتّمييز بين الصوت والحرف وذلك بفضل حسّه المرهف وذوقه الرّفيع ودقّة ملاحظته، حيث يقول: «ا علم أنّ الصّوت عَرَض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا. وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها، وإذا تفطنت لذلك وجدته على ما ذكرته لك، ألا ترى أنّك تبتدئ الصوت من أقصى حلقك. ثم تبلغ به أيّ المقاطع شئت، فتجد له جرسا ما، فإن انتقلت منه راجعا عنه، أو متجاوزا له ثم قطعت، أحسست عند ذلك صدى غير الصدى الأوّل، وذلك نحو الكاف فإنّك إذا قطعت بها سمعت هناك صدى ما فإن رجعت إلى القاف سمعت غيره وإن جزت إلى الجيم سمعت غير ذينك الأولين»([1]).

وتجدر الإشارة هنا الى طبيعة الصوت الذي ميّزه **ابن جنّي** عن الحرف وهو الصوت البشري المعنيّ بهذه الدراسة دون سواه، والذي اقتضته الطبيعة البشرية كما يقول **ابن سيناء:** « لمّا كانت الطبيعة الإنسانية محتاجة إلى المحاورة لاضطرارها على المشاركة والمجاورة انبعثت إلى اختراع شيء يتوصل به إلى ذلك ...فمالت الطبيعة إلى استخدام الصوت، ووفقت من عند الخالق بآلات تقطيع الحروف وتركيبها معاً، ليدلّ بها على ما في النفس من أثر»([2]).

ويتضح من كلام **ابن سيناء** أنّ الطّبيعة البشرية ألهمت الإنسان إلى استعمال الصوت من أجل التواصل، ولكنّ هذه الخاصية ( **التّصويت** ) ليست حكراً على بني البشر فقط

---

[1]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:06.

[2]– ابن سينا، **الشفاء**، العبارة، ص:06، نقلا عن منقور عبد الجليل، **علم الدلالة أصول ومباحث في التراث العربي**، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا ، د ط ،2001م، ص:146.

فالحيـوانات أيضاً تصـدر أصـواتا مختلفـة وتستعمـل أيضا مـن أجل التـواصل فيما بينها فالصوت إذاً قاسم مشترك بين الإنسان والحيوان، والذي تميّز به الإنسان هو الصوت اللغوي الذي يلفظه الإنسان الناطق أيًّا كان لسانه فهو أمر انفرد به البشر دون سائر المخلوقات.

إنّ **ابن جنّي** كان حريصاً كلّ الحـرص مخافة الالتباس على إبراز الفرق بين الصوت والحرف، وهو ما يحسب له من حُسْنِ صنيع أثرى به حقل الدراسات الصوتية، فقال متحدثا عنهما مميزاً لهما: «اعلم أنّ الصوت عرض يخرج من النفس مستطيل متصلا حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه في امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا»([1]).

لقد تمكن **ابن جنّي** من تحديد هذا الفرق بين المصطلحين، فبيّن معنى الصوت، ولم يقل النّفـس كما ذكر ذلك عند **سيبويه**، وبيّن أيضاً معنى الحرف. وممّا يؤكد تمييزُه ما بين الصوت والحرف هو ذلك التّشبيه الذي ضـربه لجهاز النطق بآلة النّاي، وهي آلة مـوسيقية نفخيّة تعمل عن طريق نفخ الهواء فيها بدايةً، وبِتقنية مداعبة الثقوب فتحاً وغلقاً يتغير لذلك الصوت إلى صور مختلفة تلك هي الحروف، وسيأتي تفصيل ذلك التشبيه فيما سنقف عليه من تحليل في خضم المبحث.

والذي نستنتجه أنّ **ابن جنّي** كان شـديد ودقيق الملاحظة لطـريقة الإنسان في الكلام أي كيفية نطقه للحروف ممّا جعله يتوصل إلى ما وصل إليه من نتائج، وهذا ما نستشفه من كلام الأستاذ **حميداني عيسى** الذي جاء في رسالته إذ يقول: « ومن خلال ذلك نـدرك أنّ هذا العالم قد اعتمد على اللسان المنطوق الذي كان أسبق ظهـورا من اللسان المكتـوب وعلمـاء الأنثروبولوجيا يؤكدون على ذلك من خلال الكتابة على شكل رسومات وأشكال.يقول جورج مونان :" إن اختـراع الكتابة تشهد على قـدرة التحليل الجـدِّي مـن قبـل الإنسان للغته ولبلوغ الكتابة الألفبائية، كان لزاما عليه إدراك طبيعة وحقيقة الوحـدات الصغـرى التي تجسّد الحـروف، والتي نسميها في الـوقت الحاضـر **بالفونيمات** " ، وقـدّم في هـذا المجـال قـولاً

[1]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:06.

**لأنطوان ميّي** "إنّ الذين ابتدعوا الكتابة وطوروها، هم في الحقيقة من أكبر اللغويين، بل هم الذين ابتدعوا علم اللسان"»([1]).

إذاً فالصوت على حدّ تعبير **ابن جني** عرض يخرج مع النفس ومعنى أنّه عارض على النفس أي طارئ عليه وليس بأصل،ـ يشترك فيه الإنسان والحيوان ـ أمّا الحرف فهو الناتج عن اعتراض الصوت وحبسِه في بعض الأعضاء من الجهاز النّطقي؛ فتُرسم لذلك الصورة الذهنية للصوت المنطوق، كالباء مثلا أو الخاء وغيرهما من الأصوات التي يتركب منها الكلام بصفة عامة وهكذا يتمكن الإنسان من التخاطب مع بني جنسه والتحاور معهم.

وعليه فلابد لكلّ حرف أن يشتمل على صوت والعكس غير صحيح. فاللغة كما حدّدها **ابن جنّي** «... أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم»([2])، وهي أداة للتواصل والتعبير عن الأفكار والانفعالات والرغبات وقيل عنها أيضا: « ما هي إلا وسيلة إنسانية خالصة وغير غريزية على الإطلاق لتوصيل الأفكار والانفعالات والرغبات بواسطة وسائل لنظام من الرموز، هذه الأخيرة تصدر بطريقة إرادية»([3]).

ومن المحدثين من حاول إبراز الفرق بين المصطلحين، بالإشارة إلى التقابلية القائمة بين الصورة والمفهوم أي بين حقيقة الشيء وما يمثله في الواقع فقد ذهب **عبد العزيز الصيغ** إلى القول: « يصف بعض المحدثين الحروف بأنّها حيل أو وسائل كتابية تستخدم لتمثيل النطق وتصويره... فقيمة الرموز أو الحروف إذن ليست قيمة ذاتية طبيعية مستمدة من الاتفاق العرفي، إذ إنّ الكتابة ليست من جوهر اللغة، فاللغة أقدم من الكتابة، والكتابة عرض واللغة مجموعة من أصوات لغوية، والكتابة، رمز لهذه الأصوات وهذا هو الفرق بين الصوت والحرف»([4]). أي أنّ الأصوات لها علاقة بالنطق والحروف لها علاقة بالكتابة.

---

[1]– حميداني عيسى، **علم الأصوات الوظيفي عند ابن جني في ضوء اللسانيات الحديثة**، رسالة ماجستير، جامعة تيارت 2006م، ص:77.

[2]– ابن جني، **الخصائص**، المصدر السابق، ج/1، ص:33.

[3]– Edward Sapir; **Language ,An Introduction to the Study of speech** New york, Harcourt,B Company;1921 ,P:07

[4]– عبد العزيز الصيغ، **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية**، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1 2000، ص:221

الامر الذي أكدّ عليه **ابن جنّي** عندما فرّق ما بين الصوت والحرف وكان السبّاق إلى ذلك، بل لعلّه أوّل من دعا إلى ذلك وأكده بما لا يدع مجالا للشك في معرض حديثه، فألهم بذلك من جاء بعده إلى أن تم التحقق من الأمر في ظل الدراسات الحديثة المدعومة بما يوفر الدّقة فيها من وسائل، ومخابر.

**2 ـ تذوق أصوات الحروف لتحديد مخارجها :**

إنّ من بين الأمور التي تُحسب من إضافات **ابن جنّي** للدرس الصوتي ـ إضافة إلى ما سبق ذكره ـ هو التمييز بين الصوت والحرف، إلى درجة أنّه عقد فصلا تحدّث فيه عن تذوق أصوات الحروف ونعني بها الطريقة التي يعتمدها العلماء والدارسون العرب في التعرف على الأصوات اللغوية، وتحديد مخارجها ويقول في ذلك كمال بشر: «فقد كان حظ الأصوات أن نالت طريقة ما يسمى الآن" بالملاحظة الذاتية introspectio " ونعني بها استخلاص الحقائق وتصنيفها ووضع القواعد الخاصة بها عن طريق التجربة الشخصية أو الانطباع الذهني الناتج عن هذه التجربة »([1]).

ولعلّ **الخليل بن أحمد الفراهيدي** هو أوّل من استعمل هذه الطريقة الموحية بعبقريته وذكائه فاستحق؛ أن يكون رائد هذا الاكتشاف، وجاء في مقدمة كتابه على لسان **الليث** « وإنّما كان ذواقه إيّاها أنّه كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف نحو أبْ، أتْ، أحْ أعْ أغْ ...»([2]).

وهذه الطريقة التي سنّها **الخليل** أقلّ ما يمكن أن يقال عنها أنّها منهج علمي دقيق لاعتماده على بعض أسسه وهي: الوصف ودقّة الملاحظة والتجربة، لذلك بقيت هذه الطريقة مستعملة رغم التطور الذي عرفه هذا المجال من الأبحاث. وكما هو معلوم فالدراسات اللغوية عموماً والصوتية خصوصاً إنّما تكون بالوصف المباشر للظواهر الكلامية القائم على الملاحظة الذاتية، والتي تعكس بدورها التجربة الخاصة وانطباع الباحث فهو بذلك يتذوق الأصوات بقصد الوصول إلى نطقها بشكل فعلي كما يقوم به في الواقع.

---

[1]– كمال بشر، **دراسات في علم اللغة العام**، دار المعارف بمصر، القاهرة، مصر، دط، دتح، 1973م، ص:47.

[2]– الخليل بن أحمد، **العين**، المصدر السابق، ج/1، ص:47.

وكان علماء اللغة القدامى يستعملون هذه الطريقة ويتداولونها فيما بينهم مقرّين بفاعليّتها فكانت تلك طريقة **الخليل** في التعرف على مخارج الأصوات، وسار عليها من جاء بعده من تلامذته **كسيبويه**، و**ابن جنّي**، ولكن هذا الأخير الذي كما سبق الذّكر خصّ هذا الموضوع بفصل في كتابه المخصص لهذه الدراسة التي نقوم بها كان سعى جاهدا لإضافة الجديد والتفصيل لما توصل إليه سابقيه خاصة **الخليل** و**سيبويه**، وهذا ما دفع البعض إلى القول فيه : « ممّا مكّنه من أن يصدر في حقها أحكاماً علمية صارمة، مكّنته من إطلاق المصطلحات الموفّقة »([1])، و**ابن جنّي** من خلال ذلك استطاع أن يحدّد كيفية التعرف على صدى الصوت والحرف بدقّة متناهية حين يقول: « وسبيلك إذا أردت اعتبار صدى الحرف أن تأتي به ساكناً لا متحركاً لأنّ الحركة تُقلق الحرف عن موضعه ومستقرّه وتَجْتذِبه إلى جهة الحرف الذي هي بعضه، ثم تدخل عليه همزة الوصل مكسورة من قَبْله لأنّ الساكن لا يمكن الابتداء به، فتقول : اِكْ .اِقْ . اِجْ وكذلك سائر الحروف إلاّ أنّ بعض الحروف أشد حصراً للصوت من بعضها؛ ألا تراك تقول في الدال والطاء واللام: اِدْ. اِطْ اِلْ، فلا تجد للصوت منفذاً هناك، ثم تقول: اِسْ. اِصْ. اِزْ. اِثْ. اِفْ، فتجد الصوت يتبع الحرف. وإنّما يعرض هذا الصويت* التابع لهذه الحروف ونحوها ما وقفت عليها لأنك لا تنوي الأخذ في حرف غيرها، فيتمكن الصويت فيظهر، فأمّا إذا وصلت هذه الحروف ونحوها ممّا سنبينه في أماكنه إن شاء الله، فإنّك لا تحس معها شيئاً من الصوت كما تجده معها إذا وقفت عليها، وذلك نحو: يَصْبِرُ، ويَسْلَم، ويَزْلَقُ، ويَثْرَدُ، ويَفْتَحُ»([2])، وما نستنتجه من هذا القول أنّ **ابن جنّي** يقيم منهجه أو طريقته تلك على خطوتين أساستين هما :

---

[1]– نور الدين عصام، **علم وظائف الأصوات اللغوية، الفنولوجيا**، دار الفكر اللبناني، ط1، دتح، 1992م، ص:165.

* – هو مصطلح صوتي استعمله ابن جنّي، يقول عنه ا د. محمد بلقاسم، "هو مصطلح يعبر به ظاهرة تلحظ في أواخر بعض أصوات العربية حين يحاول نطق هذه الأصوات مفردة". مقال بعنوان: **الدرس الصوتي ومصطلحاته من خلال مدخل "سر صناعة الاعراب" لابن جني**، منشور في مجلة الأثر– مجلة الآداب واللغات، جامعة ورقلة– الجزائر ع4– ماي: 2005م، ص: 278.

[2]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:07.

**أ ـ الخطوة الأولى:** أن تأتي بالحرف ساكنا، وهذا يعني أن يكون الحرف الذي تريد تذوقَ صداه غير متحرك أي خال من كلّ الحركات، كالفتحة، والضمة، والكسرة، مبرراً ذلك بما تفعله الحركة من تأثير على الحرف فتقلقه وتُزحزحه عن موضعه الذي يستقر فيه، وتشده جاذبة له نحو الحرف الذي هي بعضه، فكما هو معلوم أنّ الحركات هي أبعاض الحروف.

**ب ـ الخطوة الثانية:** إدخال همزة وصل مكسورة قبله، فالحرف إذا ما جُرّد من الحركات أصبح ساكنا بالضرورة والقاعدة تقول أنّ العرب لا تبدأ بساكن، لذلك وجب إدخال همزة الوصل قبل الحرف واشترط **ابن جنّي** أن تكون مكسورة، وهنا نرى أنّه يخالف ما ذهب إليه **الخليل** الذي استعمل الهمزة مفتوحة فيقول في ذلك: «وإنّما كان ذواقهُ إيّاها أن يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف. نحو ابْ، اتْ ...»([1])، و**ابن جنّي** في إطلاقه لتلك الأحكام كان يرصد ويتتبع حركة الهواء المنبعث من الفم أثناء الكلام لكي يتمكن من تحديد الفوارق الصوتية بين الحروف واهتدى في الأخير إلى أنّ هناك ضربين من الحروف :

**الضرب الأول:** وهو الذي يكون فيه الصوت أشدّ حصراً وهذه الحروف كما جاء ذكرها عنده هي: الدال، والطاء، واللام فمعها لا يجد الصوت له منفذاً، أي أنّ الصوت ينقطع عندها ويُحبس تماما وهنا تُظهر شدّة مراقبة **ابن جنّي** وتحسسه لحركة الهواء المنبعث من فم المتكلم.

**الضرب الثاني:** فهو عكس الأول ويعني ذلك أنّ الصوت يكون فيه أقل حصرا من سابقه فتجدُ أنّ الصوت يتبع الحرف ويتسرّب معه فعند تلفظك بأحد الحروف التالية: السين والصاد، والزاي والثاء،... فإنّك تحسّ أنّ للصوت منفذاً يستمر فيه ولا ينقطع إلاّ بالتوقّف عليه، فكانت تلك هي حال الحروف وهي منفردة، فيكون الصوت فيها متمكن وأظهر. وأمّا إن اتصلت بغيرها أثناء تركُّبها مع بعض الحروف كما في الألفاظ التي جاء ذكرها وهي يَصْبِر، ويَزْلَقُ، ويَثْرَدُ،...فنرى أنّ الصوت لا يكون بنفس الانحصار الذي كان عليه لمّا كان مفرداً، وتبريره لذلك هو أنّك متى نطقت بالصوت الأوّل ثم أتبعته بآخر، فإنّك تجد هذا

[1]– الخليل بن أحمد، **العين**، المصدر السابق، ج/1، ص:47.

الأخير يحول دون تمكن الأوّل فمتى شرعت في نطق الحرف الثاني حُرمت من الاستراحة التي تجدها مع الأول.

والملاحظ أنّ **ابن جنّي** كان دائما يراقب حركة الهواء التي يعتقد أنّها العامل الأساسي للتمييز بين الأصوات مؤكداً على أنّها علّة التغيير الحاصل في الأصوات.

ودائما بمراقبة وتحسس حركة الهواء يحصي **ابن جنّي** ضربا آخر من الحروف تتأثر عملية النطق فيها بمرور الهواء الذي يجدُ اتساعا في مخرجه حتى لا يقتطع الصوت عن امتداده واستطالته، فيستمر ممتداً حتى ينفَد ونعني بذلك كلاً من: الألف، والياء، والواو غير أنّ الاتساع أكمل ما يكون مع الألف ونورد في تفسير ذلك نصاً للدكتور **أحمد محمد قدور** يقول فيه : «...اصدار الأصوات لابد فيه من اعتراض للهواء المنبعث من الرئتين بأيّ شكل من الأشكال وإلاّ خرج الهواء بدون أن يحدث صوتا معيناً، وبناءاً على ذلك نجد أنّ وجود اعتراض أو تضييق في ممرّ الهواء يولِّد أصواتاً ذات خصائص معينة على حين أنّ عدم وجود هذا الاعتراض أو التضييق يولِّد أصواتا أخرى لها خصائص مختلفة، وتدعى المجموعة الأولى من الأصوات بالأصوات الصامتة على حين تدعى المجموعة الثانية بالأصوات الصائتة» ([1]).

وبذلك نرى أنّ **ابن جنّي** قد تحدّث عن صنفين من الحروف يتأثر كلاهما بحركة الهواء وتسرّبه أثناء الكلام. فالصنف الأول ما يتعرض فيه الصوت للتضييق أو الاعتراض على مستوى أعضاء الجهاز النطقي، وهو ما بيّنا تقسيمه آنفاً إلى ما ينحصر فيه الصوت وإلى ما لا ينحصر الصوت فيه، وأما الصنف الثاني فلا اعتراض للصوت فيه ولا تضييق بل يجد فيها الصوت اتساعا وهي الألف والياء والواو أو ما يعرف حالياً بحروف المدّ([2]).

ومن كلّ هذا نستنتج أنّ الرجل أبدى براعة عجيبة في تصوره للأصوات اللغوية، الشيء الذي أقرّته الأبحاث والدراسات الحديثة اليوم ومن ذلك مثلا أنّه أدرك حقيقة حروف المدّ وخصائصها وسبيله في كل ذلك هو تحسس سريان الهواء وما يعتريه من تغيّر في جهاز

---

[1]– قدور أحمد محمد، **مبادئ اللسانيات**، دار الفكر بدمشق، سوريا، ط3، دتح، دتا، ص:90.

[2]– ينظر: المطلبي (غالب فاضل) ، **في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية**، منشورات وزارة الثقافة والإعلام سلسلة دراسات، الجمهورية العراقية، دط، 1984م، ص:86.

النطق، ونورد في ذات السياق ما ذكرته الأستاذة **فوزية سرير عبدالله** تقول: « ومن هذا التصور البارع نلاحظ أنّ **ابن جنّي** قد أدرك خاصية حروف المدّ بوصفها حركات، وأنّ الهواء يمرّ خلالها حرا طليقا دون مانع يمنعه على حين يحسّ إحساسا صادقا بخاصية النوع الآخر من الحروف وهي الأصوات الصامتة فيلحظ أنّ هواءها قد يقف وُقوفا تاما "فلا يجد للصوت منفذا هناك "، أو لا يقف ولكنّه ينسلّ من خلال طريق ضيِّق، وبهذا يفصل بين صنفي الأصوات، الأصوات الصامتة، وحروف المد وهي الحركات»([1])، ومن هنا فإنّنا نجد أنفسنا في كل مرة أمام تصريح **لابن جنّي** أو تلميح لقضية من القضايا التي أصبحت في العصر الحالي من أسس الدرس الصوتي ومنهج **ابن جنّي** الخاص الذي نهجه للتعرّف على الحروف وأصواتها معتمداً في ذلك على أبسط الوسائل والتقنيات وفي ظل عدم توفر الأجهزة الدقيقة والمختبرات بغية اختبار مخارج الحروف والتعرف على صفات الصوت دون غيره من الأصوات، ساقه ذلك ودلّه إلى تمييز الصنفين السالفي الذكر من الأصوات لأهميتهما في الدراسات الصوتية، وأن يتألق في إصدار أحكاما لا تحيد عن العلمية في حقها لا تزال تثير الدهشة والاستغراب لدى الكثير من الباحثين اليوم وتثبت كفاءة الرجل المعرفية والعلمية الناتجة عن بصيرته الثاقبة وملاحظته الدقيقة لكلّ ما له صلة بدراسة علم الأصوات.

### 3 ـ تشبيه الحلق والفم ببعض الآلات الموسيقية:

وممّا أضاف **ابن جنّي** للدرس الصوتي فكرة لم يسبقه اليها أحد، ولا غرابة في ذلك كون الباحث أو الدارس في حدّ ذاته يتمتع بقدرات كبيرة جداً ومهارة عالية، وتعدّ هذه الإضافة إثراءاً للحقل الصوتي العربي وليس في مقدور كائنا من كان أن يُنكرها أو يتجاهل أهميتها، ونعتبرها توضيحا وتبسيطا لما سبق ذكره من إضافة نعني بذلك تذوق أصوات الحروف، فلقد أبدع **ابن جنّي** أيّما إبداع لما شبه الحلق ببعض الآلات الموسيقية، « فكرة جديدة ظهرت عند **(ابن جنّي)**، غذّت الدرس اللغوي العربي وأخرجته من المعيارية الوصفية التي ميّزته، آخذة إيّاه إلى الميدان العلمي التطبيقي ميدان روح العلم الحديث، قيل ربّما هي امتداد للفكر الفلسفي اليوناني القديم، تجلّت هذه الفكرة في تشبيه الحلق بالآلات الموسيقية

[1]– فوزية سرير عبد الله، **سر صناعة الاعراب في ميزان الصوتيات الحديثة**، المرجع السابق، ص: 24،25.

لكنّنا وجدنا أنّ علم الألحان قديم عند العرب، أو هو مرافق لنظم الشعر»([1])، لأنّ هناك من يرى أنّ الغرض من نظم العرب للشعر إنّما هو مدّ الصوت فيه والتغني به ولولا ذلك لكان الشعر كالنثر، وأمّا في تشبيه **ابن جنّي** الحلق بالآلات فيدلّ على معرفة البيئة العربية بالفن والموسيقى وعلم الألحان الذي ظهر عندهم منذ القدم ملازما للنظم وبالتالي فالقول بتأثر **ابن جنّي** باليونانيين فهو مستبعد، بل إنّها من انتاج الفكر العربي الأصيل والذي يمثله رجال أفذاذ **كابن جنّي** وغيره من العلماء الذين قال فيهم **المسدي** : « فإنّ المنظّرين كثيراً ما لا يقنعون بمنهج المواصَفة والتحليل فيحاولون النّفاذ بالقضية إلى أسرارها ومقوّماتها داخل منظومة الكلام وذلك بتوخّي منهج التعليل والكشف الباطني»([2]).

وسعيا منه لتوضيح فكرة تذوق أصوات الحروف التي سبق ذكرها وتبيين سبب اختلاف حروف المعجم العائد في نظره لاختلاف مقاطعها، شبّه **ابن جنّي** الحلق بآلتي **النّاي** و**العود** الموسيقيتين.

**أـ تشبيه الحلق والفم بالناي:**

وقبل البدأ في تحليل ما ذكره **ابن جنّي** في هذا الشأن ارتأينا أن نقف على تعريف هذه الآلة التي شبّه بها حلق الإنسان في إصداره للأصوات.

**تعريف النّاي :**

جاء في المعجم الوسيط .النّاي : «آلة من آلات الطرب على شكل أنبوب بجانبها ثقوب ولها مفاتيح لتغيير الصوت، تطرب بالنفخ وتحريك الأصابع على الثقوب بإيقاع منظم؛ وهي اليراع المثقّب»([3])، وتقول **فوزية سرير عبد الله** في تعريفها للنّاي : « النّاي آلة نفخ موسيقية تتميز بحدّة صوتية كبيرة، تحتوي على فتحات ذات أبعاد متساوية، هذه الفتحات تساعد على التحكم في الصوت الصادر من هذه الآلة، وذلك بوضع أصابع اليد على

[1]– فوزية سرير عبد الله، **سر صناعة الاعراب في ميزان الصوتيات الحديثة**، المرجع السابق ، ص:25.

[2]– المسدي(عبد السلام)، **التفكير اللساني في الحضارة العربية**، الدار العربية للكتاب، ط2، 1986م، ص:192.

[3]– مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، مرجع سابق، ص:895.

الفتحات بحيث أنّه إذا نفخ المرء في هذه الآلة صدر منها صوت أملس ساذج، وهذه الكيفية تشبه عملية صدور حرف المد الألف في الحلق دون تكلف ولا صنعة»([1]).

وبناءا على هذا فإنّنا نجد أنّ **ابن جنّي** عقد هذا التشابه نظرا للتوافق الكبير في آلية العمل ومبدئه بين النّاي والحلق القائمة بالأساس على حركة الهواء وما تتعرض له من اعتراض ويقول في ذلك: « ولأجل ما ذكرنا من اختلاف الأجراس في حروف المعجم باختلاف مقاطعها، التي هي أسبابُ تبايُن أصدائها، ما شبّه بعضهم الحلق والفم بالناي، فإنّ الصوت يخرج فيه مستطيلاً أملس ساذجاً، كما يجري الصوت في الألف غُفْلاً بغير صنعة فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوفة، وراوَحَ بين عَمَله، اختلفت الأصوات وسُمع لكلّ خَرْق منها صوت لا يشبه صاحبه فكذلك إذا قُطع الصوت في الحلق والفم باعتماد على جهات مختلفة كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة»([2])، ويقول الدكتور **السعران** في ذات السياق : « وواضح أنّه يمكن اتخاذ الناي والمزمار للوفاء بالغرض الذي تؤديه هذه الآلة. فمعروف أنّ المزمار العادي، تختلف الأصوات أو «النغمات» الصادرة عنه لجملة من الأسباب منها اختلاف وضع الأصابع على الثقوب، وذلك لأنّ الأوضاع المختلفة للأصابع على الثقوب تكبّر أو تصغّر من حجم الفراغ الرنّان. فإذا نفخنا في المزمار وكان الفراغ الرنان كبيراً نتج صوت ذو طبيعة مخالفة لطبيعة الصوت الحادث لو نفخنا بنفس القوة وكان حجم الفراغ الرنّان أكبر أو أصغر»([3]).

ومنه فإنّ الصوت الذي يخرج مع النفس يكون في بداية الأمر منبعثا من الصدر ساريا عبر القصبة الهوائية وصولا للحلق ثم الفم، فتتغير أجراسه وأصداؤه في حال اعتراضه إمّا في الحلق أو الفم وبذلك تتنوع الأصوات، ونفس الأمر يحدث مع آلة الناي أثناء العزف عليها فانّك ترى أنّ الصوت ينساب فيها ساذجاً املس، ثم يتغير في ألوان مختلفة بفضل مداعبة العازف للثقوب الموجودة في الناي بأصابعه محدثا بذلك أصواتا لا يشبه بعضها بعضا، وهو عين ما يحدث في الحلق والفم أثناء اعتراض الهواء.

---

[1]– فوزية سرير عبد الله، **سر صناعة الاعراب في ميزان الصوتيات الحديثة**، المرجع السابق، ص:26.

[2]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:09.

[3]– محمود السعران، **علم اللغة مقدمة للقارئ العربي**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت– لبنان، دط دتح ص:106،107.

**ب ـ تشبيه الحلق بوتر العود :**

**ــ تعريف آلة العود:**

هي آلة موسيقية وتريّة يُضربُ عليها بريشة ونحوها[1]، وآلة العود كما هو معلوم لدى الجميع من أهمّ الآلات الموسيقية الوتريّة العربية، وفي استعمالها من طرف المختصين ما يشاكل حدوث الصوت اللغوي، وهو ما سعى **ابن جنّي** إلى إيضاحه بغية الوقوف على حقيقة ما يحدث عند إصدار الصوت اللغوي داخل جهاز النطق، فبعد ما شبّه الظاهرة بما يحدث في آلة النّاي فإنّه يجدُ الأمر نفسه يتكرر مع وتر العود فيقول: «ونظير ذلك أيضا وتر العود، فإنّ الضارب إذا ضربه وهو مرسل سمعت له صوتاً، فإن حصر آخر الوتر ببعض أصابع يسراه أدى صوتا آخر، فإن أدناها قليلا سمعت غير الاثنين، ثم كذلك كلما أدنى أصبعه من أول الوتر تشكلت لك أصداء مختلفة، إلاّ أنّ الصوت الذي يؤديه الوتر غفلا غير محصور تجده بالإضافة إلى ما أداه وهو مضغوط محصور أملسَ مهتزاً ويختلف ذلك بقدر قوة الوتر وصلابته، وضعفه ورخاوته فالوتر في هذا التّمثيل كالحلق والخفقة بالمضراب عليه كأوّل الصوت من أقصى الحلق...»[2]. فهذا التشابه الذي أشار إليه **ابن جنّي** بين الحلق ووتر العود يكمن في الآلية التي تعمل بها هذه الآلة الموسيقية وهي أنّ الوتر إذا ما ضرب عليه الضارب فإنّه يصدر صوتاً ما ولكن ما إن يبدأ العازف بمداعبة الوتر بأصابع يده اليسرى، بالحصر تارة وبتغيير موضعه تارة أخرى، فإنّك تلاحظ تغيّر الصوت الناتج في كل حالة ولا يشابه الذي قبله ولا الذي بعده وممّا يساعد على تباين الأصداء واختلافها حالة الوتر من قوّة، وصلابة، وضعف ورخاوة. فنلاحظ أنّ **ابن جنّي** بدقة ملاحظته وذكائه يجد لكل مرحلة من مراحل إصدار الصوت اللغوي عند الإنسان ما يقابلها في وتر العود ونبين ذلك كما يلي: الحلق في مقابل الوتر والضرب عليه في مقابل أوّل الصوت المنبعث من أقصى الحلق، وجريان الصوت غفلا حراً فيه في مقابل جريان الصوت في الألف الساكنة واعتراض الوتر وحصره بالأصابع في مقابل انقطاع الصوت في

[1]– مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، المرجع السابق، ص:635.

[2]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج1، ص09.

الحلق عند المخارج واختلاف الأصوات في درجاتها وصفاتها في مقابل صفات الحروف المختلفة وهكذا.

**4 ـ الحركات أبعاض حروف المد:**

وقبل البدأ في تحليل ما جاء به **ابن جنّي** في هذا الشأن وكما عهدنا في دراستنا هذه سنقف عند المصطلحات الأساس عسى أن تجلي الغموض عن الفكرة المدروسة وتسهل على القارئ الفهم والاستيعاب، ففي اللسان: «الحركة: ضد السكون، حرُك يحْرُك حَرَكَةً وحَرْكاً فتحرَّك، قال الأزهري: وكذلك يَتَحَرَّك، وتقول: قد أعيا فما به حَرَاك، قال ابن سيدة: وما به حراك أَي حَرَكة»([1]).

وجاء في المعجم الوسيط، «الحركة (في العرف العام) انتقال الجسم من مكان إلى مكان آخر أو انتقال أجزائه كما في حركة الرحى. و(في علم الصوت) كيفية عارضة للصوت وهي الضمُّ والفتح والكسر، ويقابلها السُّكون»([2]).

ويقول **ابن جنّي** في تعريفه للحركات : «وإنّما سميت هذه الأصوات الناقصة حركات لأنّها تقلق الحرف الذي تقترن به ، وتجتذبه نحو الحروف التي هي أبعاضها»([3])، وهي القسم الثاني الرئيسي لأصوات اللغة. vowels ويعرّفها **كمال بشر** بقوله : « ... ويمكن تعرف الحركات بمجموعة من الخواص التي أشرنا إلى مجملها سابقا عند تصنيف الأصوات إلى مجموعتيها الرئيسيتين (الصوامت والصوائت =الحركات) والتي نزيدها بيانا في هذا السياق»([4]).

هذا عن الحركات أمّا حروف المد واللين فنورد من تعاريفها ما ذُكر في معجم الصوتيات «هو زيادة مدّ في حروف المدّ لأجل همزة أو ساكن أو زيادة مطّ* في حروف المدّ ولا يكون

---

[1]– ابن منظور، **اللسان**، المرجع السابق، ج/10، ص:410.

[2]– مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، المرجع السابق، ص:168.

[3]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:26.

[4]– كمال بشر، **علم الأصوات**، المرجع السابق، ص:217.

*– مطّ الشيء– مطاً: مدّه، مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، المرجع نفسه، مادة (مط)، ص:875.

إلا لسبب .قال **زكريا الأنصاري:** ((إطالة الصوت بحرف مدّي من حروف العلة ))» ([1]).
ونظيف تعريفا آخر **للمطلبي** جاء فيه : « إنّ مصطلح أصوات المدّ واللّين أو أصوات المد حسب ما قد استقر عند اللغويين العرب للدلالة على الألف والواو والياء بوجه عام، وإن كان ذلك لا يمنع من الإشارة بهذا المصطلح إلى الحركات(short vowels) بسبب أنّ من اللغويين العرب عدّوا هذه الحركات أبعاضا لأصوات الألف والواو والياء»([2])

حيث جاء في كلامه: «اعلم أن الحركات أبعاض حروف المدّ واللين، وهي الألف والياء والواو فكما أنّ هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة والكسرة والضمة فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو. وقد كان متقدمو النحويين يُسمون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة»([3])، وممّا ذكره المتقدمون نذكر ما قاله **سيبويه** عن **الخليل** في القول التالي: «وزعَم **الخليل** أنّ الفتحة والكسرة والضمّة زوائد، وهنّ يلحقن الحرف ليُوصَل إلى التكلم به. والبناء هو الساكن الذي لا زيادة فيه. فالفتحة من الألف والكسرة من الياء، والضمة من الواو. فكلّ واحدة شيء ممّا ذكرت لك»([4])، والواضح أنّ **ابن جنّي** يشير إلى العلاقة القائمة بين الحركات وحروف المدّ واللين ويرى أنّها علاقة جزء بالكل، وكما هو معلوم فإنّ الرجل قد خط لنفسه منهجا دأب عليه وهو ملازمة الدليل والحجج بهدف الإقناع والإفهام، وما ذكره آنفا من أنّ الحركات هي أبعاض حروف المد فإنّه يسرد جملة من الاستدلالات لإثبات صحة ما يقول وممّا استدل به نذكر:

ـ **المقابلة العددية بين الحركات وحروف المد:** فيرى **ابن جنّي** أنّ اشتراكهما في العدد ليس اعتباطاً بل هو دليل لديه على التماثل الحاصل بين الطرفين، فجعل لكلّ حركة حرف تقابله على أنّها مأخوذة منه.

ـ **قابلية التغير في حروف المدّ:** يقول **ابن جنّي:** «ألا ترى أنّ الألف والياء والواو اللواتي هن حروف توامٌّ كَوامل، قد تجدهن في بعض الأحوال أطول وأتمّ منهنّ في بعض

---

[1]– العبيدي، **معجم الصوتيات**، المرجع السابق، ص: 172.

[2]– المطلبي(فاضل غالب)، **في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية**، المرجع السابق، ص:17.

[3]– ابن جنّي، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق ، ج/1، ص:17.

[4]– سيبويه، **الكتاب**، المرجع السابق ، ج/4، ص:241 .

وذلك قولك: يخاف وينام، ويسير ويطير، ويقوم ويسوم، فتجد فيهن امتداداً واستطالة ما، فإذا أوقعت بعدهن الهمزة أو الحرف المدغم ازددن طولاً وامتداداً، وذلك نحو: يشاءُ ويداءُ ويَسُوء ويَهُوء، ويجيء ويفيء وتقول مع الإدغام: شابّة، ودابّة ...ألا ترى إلى زيادة الامتداد فيهن بوقوع الهمزة والمدغم بعدهن»([1]).

والذي نفهمه من كلام **ابن جنّي** أنّ حروف المدّ و التي هي (الألف، الياء، الواو ) تمتاز بصفة قابلية التغيير وما هذا التصور إلا دليل على تسميتها بحروف العلة كما قال البعض وذلك كونها لا تستقر على وضع أو شكل واحد، وعليه نرى أنّ **ابن جنّي** من هذا المنطلق يماثل بين الأمرين أي بين التحول أو التغير الذي يلحق الحروف في بعض الأحوال فتزداد طولاً وبين ما يطرأ عليها فتصبح حركات فما يحدث هناك هو ما يحدث مع الحركات فتكون أجزاء من تلك الحروف.

ـ **إمكانية الحصول على الحروف بالعملية العكسية للحركات:** ونعني بذلك أنّه كما نتجت الحركات من الحروف على أنّها جزء منها أي عندما ننقص مدّ الصوت وشدة سريانه مع الحروف التوام الكوامل نحصل على الحركات أو كما أسماها المتقدمون ووصفوها بالصغر كما سبقت الاشارة إليه وكأنّ الحركات ماهي إلاّ تصغير للحروف. وعندما نقوم بالعكس فإنّنا نحصل على الحروف وهذا ما يدل عليه قوله : « ويدلك على أنّ الحركات أبعاض لهذه الحروف، أنّك متى أشبعتَ واحدة منهنّ حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه وذلك نحو فتحة عين " عَمَر" فإنّك إن أشبعتها حدثت بعدها ألف، فقلت : عامَر. وكذلك كسرة عين "عِنَب" إن أشبعتها نشأت بعدها ياء ساكنة، وذلك قولك : عِيْنَب. وكذلك ضمة عين "عُمَر" لو أشبعتها لأنشأت بعدها واواً ساكنة، وذلك قولك : عُوْمَر. فلولا أنّ الحركات أبعاض لهذه الحروف وأوائل لها لما نشأت عنها، ولا كانت تابعة لها»([2]).

ومن خلال هذه الأدلّة التي ساقها **ابن جنّي** لأثبات صحة ما دعا إليه نستنتج العلاقة الرابطة بين الحركات وحروف المدّ واللين والمتمثلة في علاقة تامٍ كاملٍ بناقص، فالكامل التام هو الحروف والناقص هو الحركات، لذلك كانت جزء منها، وهو ما خلُص إليه **ابن جنّي** نفسه في قوله: «فقد ثبت بما وصفناه من حال هذه الأحرف أنّهن توابع للحركات

---

[1]- ابن جني ، **سر صناعة الاعراب** المصدر السابق، ج/1، ص:17 .

[2]- ابن جني ، المصدر نسفه، ج/1، ص:18.

ومتنشِّئة عنها، وأنّ الحركات أوائل لها وأجزاء منها، وأنّ الألف فتحة مشبعة، والياء كسرة مشبعة، والواو ضمة مشبعة»([1])

**5ــ مرتبة الحركة من الحرف :**

إنّ ممّا أضافه **ابن جنّي** للدرس الصوتي أيضا فكرة مرتبة الحركة من الحرف والتي يناقش فيها وقوع الحركة من الحرف، فبعد ما كنا قد تناولنا قضية الحركة بأنّها بعضا من الحرف نعود الآن لمنزلتها من الحرف والمكان الذي ينبغي لها أن تحتله منه، وجاء ذلك في قوله : « وأعلم أنّ الحركة التي يتحمّلها الحرف لا تخلو أن تكون في المرتبة قبله، أو معه أو بعده»([2]).

والظاهر من قول **ابن جنّي** أنّ الأمر مختلَف فيه، فهناك من يرى أنّها قبل الحرف وآخر معه وثالث يرى أنّ مرتبة الحركة بعد الحرف، وقبل البدأ في مناقشة ما ذهب اليه **ابن جنّي** يحضرنا قول **الخليل** عن الحركات ـ وقد سبق ذكره ـ وهو( أنّ الفتحة والضمة والكسرة زوائد، وهن يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به)، ويقول **ابراهيم العطية** في شرح قوله :" زوائد" ، «ومعنى "زوائد" الإشارة إلى كونها رموزاً إضافية تلحق أواخر الكلم، وقد دعاهم إلى هذا الظّن طريقة الكتابة العبرية والسامية باعتمادها على الصوامت في تأليف صور مختلفة من (الجذر) الواحد، أمّا الحركة فقد كانت عندهم أمرا ثانويا يلجأ الكاتب إليه عند اقتضاء الضرورة»([3]).

فبما أنّ الحركات ماهي إلاّ زوائد وليست أصلاً لا يُلْجأ إليها إلاّ عند الضرورة، فإنّه يمكن الاستغناء عنها، ومعنى ذلك أنّ الحركات تختلف عن الحروف التي يمكن اعتبارها أصلاً في هذا المقام والعارض هو الحركات، ومنه فليس من الغريب إثارة النقاش حول مرتبة الحركة من الحرف لمّا كانت الحركات بهذه المنزلة دون الحروف.

أمّا **ابن جنّي** فإنّه يرى أنّه من المحال أن تقع الحركة قبل الحرف وهو يقدم جملة من الأدلة كي يثبت صحة رأييه مبينا العلاقة القائمة بين الحرف والحركة فيرى استحالة وقوع الحركة قبل الحرف لسببين:

---

[1]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب** المصدر السابق، ج/1، ص:23.

[2]– المصدر السابق، ج/1، ص:28.

[3]– ابراهيم العطية، **في البحث الصوتي عند العرب**، المرجع السابق، ص:50 .

**الأول:** لأنّ الحرف هو محل الحركة الذي تقوم عليه لأنّه أصل والحركة عارض عليه ولا يمكنها الاستغناء عنه فالحركة لوحدها لا معنى لها إلاّ بوجود الحرف لذلك لا يجوز أن تكون واقعة قبل الحرف فالحرف أولا ثم الحركة.

**الثاني:** لعدم جواز الإدغام في حال وجود الحركة قبل الحرف الثاني المدغم، فمثلا تقول:" قَطَّعَ" فإنّك تدغم الطاء الأولى في الثانية وعلامته التّشديد الذي يلحق الحرف المدغم أو ما يعرف بالتّضعيف، ولو كانت حركة الطاء الثانية قبلها في المرتبة لما أمكنك الإدغام لحيلولة الحركة دون ذلك لوقوعها بينهما، وعليه فجواز الإدغام دليل على أنّ الحركة لا تكون قبل الحرف([1]).

أمّا بالنسبة لوقوعها بعد الحرف فهذا ما ذهب إليه **ابن جنّي**، ويستدل على ذلك بمجيئها فاصلة بين المثلين أو المتقاربين وبذلك تشكل حاجزا يحول دون الإدغام الواجب أصلا، وممّا يورده كمثال على ذلك ما جاء في قوله: « فالمثلان نحو قولك: قَصَص، ومَضَض وحُضُض، ومِرَر، وقِدَد. فلولا أنّ حركة الحرف الأول من هذين المثلين بعده لما فصلت بينه وبين الذي هو مثله بعده، ولو لم تفصل لوجب الإدغام؛ لأنّه لا حاجز بين المثلين، فإن ظهر هذان المثلان ولم يدغم الأوّل منهما في الآخر فظهورهما دلالة على فصل واقع بينهما، وليس ههنا فصل البتة غير حركة الحرف الأول»([2]).

وممّا استدل به **ابن جنّي** أيضا على أنّ الحركة تأتي بعد الحرف أنّك متى أشبعت الحركة حصلت على حرف من حروف المدّ كما رأينا فيما مر بنا في عنصر الحركات أبعاض حروف المد واللين، فمتى مددت صوت الحرف بحركته فإنّك إذّاك قد أشبعت حركته فتحصل على أحد حروف المد والتي هي الألف، والواو، والياء، وهذه الحروف لا تكون إلاّ بعد الحروف الصامتة كما يسميها المحدثون باعتبارها في هذا المقام ـ حروف المدّ ـ أنّها صوائت، فكما أنّ حروف المدّ تأتي بعد الصوامت فكذلك الحركات في الرتبة تأتي بعدها أي الحروف الصامتة، فهو بذلك يشير إلى أنّ الحركة جزء من الحرف وهو بدوره كلّ لها وحكم الجزء من حكم الكل كما هو معلوم، وكل ما ذكرناه مفصل في القول التالي: « ودلالة أخرى تدلّ على أنّ حركة الحرف بعده، وهي أنّك إذا أشبعتَ الحركة. تممتها حرف مدّ، كما تقدم

---

[1]– ينظر: ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:28.

[2]– المصدر نفسه، ج/1، ص:29.

من قولنا في نحو ضَرَبَ وقَتَلَ، إذا أشبعت حركة الفاء قلت : ضَارَبَ وقَاتَلَ. وضُرِب وقُتِل إذا أشبعتَ قلت: ضُورِبَ وقُوتلَ. وكذلك ضِراب وقِتال، إذا أشبعت قلت: ضِيراب وقِيتال. فكما أنّ الألف والياء والواو بعد الضاد والقاف، فكذلك الفتحة والكسرة والضمة في الرّتبة بعد القاف؛ لأنّ الحركة إذا كانت بعضا للحرف، فالحرف كلّ لها، وحكم البعض في هذا تابع لحكم الكل، كما أنّ الحروف التي نشأت عن إشباع الحركات بعد الحروف المتحركة بها فكذلك الحركات التي هي أبعاضها وأوائل لها وأجزاء منها في الرّتبة بعد الحروف المتحركة»([1]).

و**ابن جني** في أثناء حديثه عن مرتبة الحركة من الحرف يثير النقاش حول فكرة منشأها السؤال التالي: أيُّ الحركتين تكون الفاصل بين المثلين أحركة الأول أم الثاني؟ فهو يرى أنّه لا يمكن لحركة الثاني أن تكون الفاصل بين المثلين إنّما هي حركة الأوّل، ويستدل على صحة قوله بوجود الإدغام في مثل قولك: شَدَّ، ومَدَّ رغم أنّ الحرف الثاني منهما متحرك في الأصل لأنّ شَدَّ، ومَدَّ أصلهما: شَدْدَ ومَدْدَ، وانعدام الإدغام فيما يأتي ذكره رغم مجيء حركة الثاني منه ساكنة فقولك: شَدَدْتُ، وحَلَلْتُ فلا يمكن الإدغام في ذلك رغم أنّ حركة الثاني ساكنة كما يبدو([2]).

أمّا بالنسبة لقول من قال أنّ الحركة تأتي مع الحرف فهو باطل عنده ولا يصح، حتى أنّه ردّ ما استدل به شيخُه **أبوعلي الفارسي** لإثبات وقوع الحركة مع الحرف، وقد ذكر في كتابه "الخصائص" ما يثبت صحّة ما ذهب إليه فيقوله: « بل دلّ قلب الواو الثانية من (اطو اوجل) ياء حتى صارت (اطو ايجل) على أنّ الكسرة أدنى إليها من الواو قبلها. وإذا كانت أدنى إليها كانت بعد الواو المحركة بها لامحالة. فهذا اسقاط قول من ذهب إلى أنّها تحدث مع الحرف، وقول من ذهب إلى أنّها تحدث قبله»([3]).

**المبحث الثاني ــ الدراسة الصرفية للأصوات:**

**1 ــ تصريف الحروف واشتقاقها :**

---

[1]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج/1 ، ص:30.

[2]– ينظر: المصدر نفسه، ج/1، ص:29.

[3]– ابن جني، **الخصائص**، المصدر السابق، ج/2، ص:323.

# المبحث الثاني

## الدراسة الصرفية للحروف

1- تصريف الحروف واشتقاقها

2- ما يجوز مزجه وما يمتنع من الحروف وما يحسن وما يقبح

3- تأليف المتجاور من الحروف في المخرج

**المبحث الثاني ــ الدراسة الصرفية للأصوات:**

**1 ــ تصريف الحروف واشتقاقها :**

إنّه لمن الإبداع الذي عُرف به **ابن جنّي**، هذا العبقري الذي عرف بفيلسوف اللغة أن يتناول قضية تصريف الحروف واشتقاقها، وكما هو معلوم فالتّصريف والاشتقاق إنّما يكون للأسماء في الغالب، غير أنّنا نرى أنّ **ابن جنّي** قد تحدث عن التصريف والاشتقاق لحروف المعجم وهذا ما سنحاول الوقوف عليه بشيء من التحليل والدراسة طبعا من خلال ما ذكره في كتابه الذي نجري عليه دراستنا هذه يقول **ابن جنّي** :« اعلم أنّ هذه الحروف ما دامت حروف هجاء غير معطوفة ولا مـُوقَعة موقع الأسماء، فإنّها سواكن الأواخر في الإدراج والوقف، وذلك قولك : ألف، با، تا، ثا جيمْ حا، دال، ذال، را، زايْ، سيْن، شيْن، صادْ ضادْ، وكذلك إلى آخرها، وذلك أنّها إنّما هي أسماء الحروف الملفوظ بها في صيغ الكلم بمنزلة أسماء الأعداد، نحو ثَلاثَهْ أربعهْ خمسهْ تسعهْ ولا تجد لها رافعا ولا ناصبا ولا جاراً وإذا جَرَتْ كما ذكرنا مجرى الحروف لم يَجز تصريفها ولا اشتقاقها ولا تثنيتها ولا جمعها، كما أنّ الحروف كذلك»([1]).

والملاحظ هنا أنّ **ابن جنّي** تحدث قبل أن يخوض في موضوع تصريف الحروف عن الطبيعة التي تكون عليها هذه الحروف فهي ساكنة الأواخر سواء في درج الكلام أو عند الوقف، ويمثل لذلك بما جاء فيما سبق ذكره من كلامه وما أطلق عليه أسماء الحروف، ثم بعد ذلك يشبِّهُها بأسماء الأعداد كأربعه وخمسه وغيرها لاشتراكهما في الحكم وفي هذه الحالة يرى أنّه لا يجوز تصريفها ولا اشتقاقها كما يتضح ذلك من خلال قوله السابق.

لقد سبق وأن ذكرنا أنّ **ابن جنّي** في هذه المسألة قد شبّه الحروف بالأسماء ولكن نجده يفرق بينهما و يميزهما بما يمكن للحرف أن يكون عليه دون الاسم، فتجد من الحروف ما هو على حرفين ثانيها ألف ولا يمكن أن تجد في الأسماء المعربة ما هو على حرفين وهي خاصية تفردت بها الحروف دون الأسماء، والحروف في هذه الحالة لاتزال على حالها مبنية غير معربة كونها أصوات مثل: صَهْ، ومَهْ ...([2]).

---

[1]- ابن جني، **سر صناعة الإعراب**، المصدر السابق، ج/2، ص:781.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ج/2، ص:781.

وفيما يلي سنعرض الجانب الأهم والذي يوضّح ما يذهب إليه **ابن جنّي** في تصريف الحروف متي يمكن تصريفها واشتقاقها وكيف ذلك؟

إنّ **ابن جنّي** بعبقريته وذكائه وعلمه أدرك أنّ حروف المعجم أصوات غير معربة كما سبق ذكره ولا يكون فيها شيء من الاشتقاق ولا التصريف، أي لا يمكن إخضاع ما أطلق عليه أسماء الحروف للميزان الصرفي العربي المعروف ويقول إنّه لا يجوز تمثُّل أوزان ذلك وجاء في قوله: «فلو قال لك قائل: ما وزن ((جيم)) أو ((طاء)) أو ((كاف)) أو ((واو)) من الفعل؟ لم يَجُزْ أن تمثّل ذلك له»([1]).

ولكن ما دعا له **ابن جنّي** يقتضي تغيير حكم الحروف إلى أسماء، وكما ذكرت في البداية أنّه شبّهها بالأسماء في الحكم فهاهو يدعو إلى نقل الحروف إلى حكم الأسماء يقول في ذلك: «فأمّا إذا نقلت هذه الحروف إلى حكم الأسماء بإيقاعها مواقها من عطف أو غيره فقد نقلت إلى مذاهب الإسمية، وجاز فيها تصريفها وتمثيلها وتثنيتها وجمعها والقضاء على ألفاتها وياءاتها، إذ قد صارت إلى حكم ما ذلك جائز فيه غير ممتنع منه»([2]).

ومن هنا نرى أنّ **ابن جنّي** قد انتقل بالحروف من الطبيعة التي كانت عليها كحروف إلى الطبيعة الإسمية وبذلك قد أنزلها منزلة ما يجوز في حقه التصريف والاشتقاق و غيرهما من الظواهر الصرفية وهذا من صميم ما أبدعه، وهو ما تم إقراره على لسان شيخه **أبي علي الفارسي** لما سأله فقال : « لمّا نقلت إلى الإسمية دخلها الحكم الذي يدخل الأسماء من الانقلاب والتصريف، ألا ترى أنّا إذا سمينا رجلاً بـ « ضَرَبَ » أعربناه لأنّه قد صار في حيّز ما يدخله الإعراب وهو الاسم» ([3])، كما أنّه قسم الحروف إلى ضربين ثنائي، وثلاثي .

ـ **أما الثنائي** فهو ما كان من حرفين مثل: با تا ثا حا يا وما جاء على نحوها و يرى أنّه متى أعربت لزم مدّها لأنّ ثاني حروفها هو حرف لين، ثم يلحقها تنوين وبذلك يلتقي الساكنان ممّا يستوجب حذف الألف، وتقول إلزاما: هذه طاً يا فتى، ورأيت طاً حسنة، ويبقى الاسم على حرف واحد، وكذلك يقول أنّه في حال الابتداء به يجب تحريكه، وعند الوقوف

---

[1]- ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق ج/2، ص:784.

[2]- المصدر نفسه ، ج/2، ص:785.

[3]- نفسه، ج/2، ص:789.

عليه يجب تسكينه[1]، و**ابن جنّي** يُبيّن ما يعتري الحرف الذي أنزل منزلة الاسم من زيادة وحذف وإبدال...

وكلّ هذا ممّا يدلّ على أنّ حروف معجم يمكن إخضاعها للقواعد والضوابط الصرفية وهذا ما نجدهُ في مثل قوله حين قاس على ما فعلته العرب لمّا أعربت (لَوْ) وهذا نصه: « فكما زادت العرب على هذه الواو واواً أخرى، وجعلت الثاني من لفظ الأوّل لأنّه لا أصل له فيرجع عند الحاجة إليه، كذلك زدت على الألف من با تا ثا ألفاً أخرى عروضاً لِما رأيت العرب فعلت في " لَوْ" لمّا أعربتها، فصار التقدير « باا » «تاا» «ثاا» «طاا» «هاا» فلمّا التقت ألفان ساكنتان، لم يكن من حذف إحداهما أو حركتها بدّ، فلم يُسَغْ حذف إحداهما لئلا تعود إلى القصر الذي منه هربت»[2].

هذا عن الحذف وأمّا بالنسبة للقلب فجاء ذكره في تتمة القول السابق وهو: « ...فلمّا حركت الثانية قلبتها همزة على حدِّ ما بيّنّاه في حرف الهمزة من إبدال الهمزة من الألف فعلى هذا قالوا: خططتُ باءً حسنةً، وكتبت حاءً جيدة، وأراك تكتب طاءً صحيحة»[3].

وممّا أضافه أيضا فيما يتعلق بالضرب الذي جاء على حرفين الإعلال الذي يلحق عِيناتَها ولاماتَها بعد التّسمية فمثلا: (طاءٍ وحاءٍ) وغيرهما بعد تسميتهم من (ط وي) و(ح وي) أصبحتا كأنّهما (طوَيْتُ) لأنّهما لحقا به وأخذا وزنه وما يشتق منها كقوله "بَوَّيْتُ" من الباء، و "رَوَّيْتُ" من الراء...[4].

أمّا بالنسبة لإمالة الحروف فقال عنها : « أمّا إمالتهم إياها وهي حروف تَهَجٍّ فليس ذلك لأنّها منقلبة عن ياء ولا غيرها، وذلك أنّها حينئذ أصوات غير مشتقة ولا متصرفة، ولا انقلاب في شيء منها لجمودها، ولكن الإمالة فيها حينئذ إنّما دخلتها من حيث دخلت "بَلَى" وذلك أنّها شابهت بتمام الكلام واستقلاله بها وغناها عما بعدها من الأسماء المستقلة

---

[1]- ينظر: ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق ، ج/2، ص:786.

[2]- المصدر نفسه، ج/2، ص:787.

[3]- نفسه، ج/2، ص:787.

[4]- ينظر: المصدر نفسه، ج/2، ص:793.

بأنفسها، فمن حيث جاز إمالة الأسماء كذلك أيضاً جازت إمالة "بلى" ...فقويت بذلك فلحقت بالقوة باب الأسماء والأفعال، فأميلت كما أميلا، فهذا وجه إمالتها وهي حروف هجاء»([1]).

ومن هنا نرى أنّ **ابن جنّي** أثبت ما ادعاه من تصريف الحروف، وهذا الأخير كما هو معلوم للأسماء والأفعال، إلاّ أنّه بعبقريته قد اهتدى إلى ما مكّنه من تحويل الحروف الجامدة إلى حروف مشتقة ومتصرفة وكلّ ذلك استقاه **ابن جنّي** من كلام العرب وقاس عليه ما جاء به.

وهكذا قد تحدثنا عن الضرب الأول من الحروف المعربة والمتصرفة وهو الثنائي أي ما كان منها على حرفين كما أسماه **ابن جنّي** والآن سننتقل إلى الضرب الثاني.

ـ **وأمّا الثلاثي** فهو ما كان على ثلاثة أحرف وهو بدوره على ضربين: ما كان ثانيه ياء وما كان ثانيه ألف.

فأمّا ما كان ثانيه ياء فنرى أنّ **ابن جنّي** قد ألحقه وقاسه على مثل "دِيْك" و "فِيل" و "بَيْت"...ممّا كان الحرف الثاني منه ياء، ومن هذه التي من الضرب الثاني وممّا ثانيه ياء ك: جِيْمْ، سِيْنْ شِيْنْ، عَيْنْ، غَيْنْ، مِيْمْ، ومن أحكامها يذكر **ابن جنّي**:

ـ أنّها على وزن "فُعْلاً" و "فِعْلاً" قياسا على ما ذكرنا من أسماء وهي :"ديك" و "فيل" و"بيت" وكلّ هذا جاء في قوله : « ومن قال في "ديك" و"فيل" إنّه يجوز أن يكون "فُعْلاً" و "فِعْلاً" جميعا وهو **الخليل**، احتمل عنده جِيمْ، سِينْ، شِينْ، مِيمْ، أن تكون أيضا "فُعْلاً" و "فِعْلاً" جميعا، فأمّا عَيْنْ غَيْنْ ففَعْلٌ لا غير»([2]).

ـ ومن الأحكام التي ذكرها **ابن جنّي** أيضا أنّه يُبنى منها أو نقول يشتق منها ما يكون على وزن "فَعَّلْتُ" فتقول: جَمَّيْتُ جيماً، و سَيَّنتُ سيناً، وشَيَّنت شيناً ...الخ، وتقول إذا جمعت: أجيام، وأسيان وأعيان، وأغيان، وأمْيام، كما أنّه لو جاءت على وزن "أَفْعُلٍ" فتقول عند الجمع: أجْيُم، أَسْيُنٌ وأشْيُن ...([3]).

---

[1]- ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق ، ج/2، ص:794 ،795.

[2]- المصدر نفسه، ج/2، ص:798.

[3]- ينظر: المصدر نفسه، ج/2، ص:798 ،799.

وما نلحظه هنا أنّ **ابن جنّي** جعل الحروف خاضعة للميزان الصرفي بحيث يمكن وزنها واشتقاقها بما يتوافق مع الأوزان العربية المتداولة، ولم يتسنى له ذلك إلاّ بعد ما انتقل بالحروف إلى الإسمية، وأصبحت بذلك تعامل معاملة الأسماء، فتتغير مشتقاتها لتغير أوزانها، وتختلف صيغها أيضاً لاختلافها. وهذا هو السّر الذي مكّنه من أن يحقق هذه القفزة في دراسة الأصوات وبالتحديد في تصريفها، فهذه أحكام ما كان ثانيه ياء مما جاء على ثلاثة أحرف من ضربي الحروف.

أمّا بالنسبة لما كان ثانيه ألف فمثل: دال، وذال، صاد، وضاد ... فيذكر من أحكامها طبعا بعد نقلها للإسمية وإلاّ لبقيت حروف هجاء جامدة لا يمكن قلبها ولا حذفها.

ـ أنّ أصل الألف التي فيها واو فهي منقلبة عنها وهذا ما تضمنه قوله :« فهذه الحروف ما دامت حروف هجاء لم تمثل، ولم يقض فيها بقلب ولا غيره ممّا لا يوجد في الحروف فإن نقلتها إلى الإسمية لزمك أن تقضي بأنّ الألف فيهن منقلبة عن واو، وذلك ما وصى به **سيبويه** لأنّه هو الأكثر في اللغة، ألا ترى إلى كثرة : باب، ودار، ونار، وجار...»([1])، وهذا يعني أنّ الألف الثانية في الحروف السابقة ومثيلاتها هي في الأصل واو، لأنّك متى أردت الاشتقاق منها على وزن "فَعَّلتُ" لقلت: من الدال دَوَّلْتُ، ومن الذال ذوّلتُ، ومن الصاد صوّدتُ ...([2]).

ـ والجمع في هذه الحروف فيكون على أوزان منها:

♦ما جاء على وزن **أفعال** وجاء قوله في ذلك كما يلي :« ولو جمعت هذه الأسماء على "أفعال" لقلت في دال، وذال: أدْوال، وأذْوال، وفي صاد، وضاد: أصواء، وأضواء...، وفي واو في من جعل ألفها منقلبة عن واو: أوّاء، وأصلها أوَّاو، فلما وقعت الواو طرفاً بعد ألف زائدة قلبت ألفا، ثم قلبت تلك الألف همزة كما قُلنا في أبناء، وأسْماء، وأعداء، وأفْلاء» ([3]).

♦وما يجمع على وزن **أفْعُلٍ** فذكره **ابن جنّي** في قوله: « ومن جمع ذلك على "أَفْعُلٍ" قال أَدْوُل، وأَذْوُل، وأَصْود، وأَضْوُد...ومن كانت عين "واو" عنده واواً قال في جمعها على

---

[1]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق ، ج/2، ص:799.

[2]– ينظر: المصدر نفسه، ج/2، ص:799.

[3]– نفسه، ج/2، ص:803.

"أَفْعُل": "أَوٌ" وأصلها "أَوُوٌ" فلما وقعت الواو طرفاً مضموماً ما قبلها أبـدل من الضمة كسرة ومن الواو ياء فقال: «أَوٍ» كما قالو : دَلْوٌ و أَدْلٍ ، وحَقْو وأَحْقٍ»([1]).

وهكذا نكون قد بيّنا ما أشار إليه **ابن جنّي** بقوله اشتقاق الحروف وتصريفها، وكيف استطاع بعبقريته ودهائه أن يحقق ما لم يهتدي إليه الكثير من الدارسين في علوم اللغة عامة والصوتيات خاصة.

**2ــ ما يجوز مزجه وما يُمتنع من الحروف وما يحسن وما يقبح منه وما يصحّ :**

وقبل البدأ في تحليل ما ذُكر في هذا الشأن نرى أنّ **ابن جنّي** قبل أن يخوض في حديثه عن تأليف الحروف ومزجها أشار إلى ضربين تنقسم إليهما حروف المعجم غير الأقسام التي سبق ذكرها في المبحث الأوّل من هذا الفصل وهذان الضربان هما : ضرب خفيف، وضرب ثقيل، وكلّ ضرب ينقسم بدوره إلى قسمين فمن الخفيف تجد ما بعضه أخفّ من بعض وكذلك الأمر بالنسبة للثقيل فيكون بعضه أثقل من بعض، ويشير إلى ما تعتبره العرب أخفّ الحروف وأسهل استعمالا وهوما يسمى بحروف الزّيادة العشرة والتي تجمعها لفظة سألتمونيها([2]).

وهذا التقسيم لم يسبق **لابن جنّي** أن ذكره من قبل، ويمكن في هذا المقام ونحن بصدد الحديث عن إضافاته للدرس الصوتي اعتباره ممّا أضيف على يد فيلسوف اللغة الذي حيزت له فنون اللغة على اختلافها وتنوعها.

وإذا ما عدنا إلى ما كنّا قد أشرنا إليه سلفا بالعنوان السابق وما يتعلق بتأليف الحروف فإنّنا نجد أنّ **ابن جنّي** قد ميّز بين ثلاثة أصناف هي: تأليف الحروف المتجاورة وهو عنده إمّا مرفوض أو قليل الاستعمال، ثم تأليف المضعّف، وأخيرا تأليف المتباعد من الحروف وهو الأحسن وسنقف على تفصيل ذلك فيما سيأتي ذكره.

---

[1]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق ، ج/2، ص:803.

[2]– ينظر: المصدر نفسه، ج/2، ص:811.

**أـ تأليف المتجاور من الحروف في المخرج:** وهذا القسم بدوره يحتوي على ضربين:

**ـ حروف الحلق الستة:**

وهي: الهمزة، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء، وهذه الحروف لا يمكن اجتماع اثنين منها في كلمة واحدة إلاّ مفصولٌ بينهما بحرف آخر لا ينتمي إلى الستة السالفة الذكر والقول التالي يوضح ما ذكرناه، ويعطي أمثلة علية لإثبات صحته: «واعلم أنّ أقل الحروف تألفاً بلا فصل حروفُ الحلق، وهي ستة : الهمزة، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء فسبيل هذه الحروف متى اجتمع منها في كلمة اثنان أن يكون بينهما فصل، وذلك نحو هَدَأْتُ، وخَبَأْتُ وعِبْءٍ وخَيْعَلٍ، وغَيْهَب، و حَضَأْتُ النار، وحَطَأْتُ به الأرضَ، فهذه حال هذه الحروف، وحكمها ألاّ تتجاور غير مفصولة»([1]).

وبالرغم من هذا إلاّ أنّنا نرى أنّ **ابن جني** يستثني من ذلك ثلاث حالات يمكن أن يتجاور فيها حرفان حلقيان دون فصل هي:

ـ أن تكون الكلمات مبدوءة بالهمزة فيليها أحد الأحرف التالية :الهاء، والحاء، والخاء، وأما بالنسبة للهاء فمثل: أهل، وإهاب ، وقد تأتي الهاء متقدمة عن الهمزة، مثل : بَهَأْتُ، ونَهِيءَ اللحمُ، وأما الحاء فمثل : أَحَدٍ، وإِحْنَة، وبالنسبة للخاء مثل: أَخَذَ، وأُخَرَ.

ـ اجتماع الهاء مع العين وفي هذه الحالة تكون العين دائما متقدمة على الهاء مثل عَهْدٍ وعَهَرَ، وعِهْن.

ـ اجتماع العين والخاء ولا تكون الخاء إلاّ متقدمة على العين مثل: بَخَعَ، والنَّخَع([2]).

**ـ حروف أقصى اللسان:**

وهي القاف، والكاف، والجيم، وهي لا تتجاور أبداً ولا تأتلف في كلمة واحدة وهذا ما جاء في قول **ابن جني** : « ويتلو حروف الحلق حروف أقصى اللسان، وهي القاف والكاف، والجيم، وهذه لا تتجاور البتة، لا تجد في الكلام نحو:"قَجْ" ولا "جَقْ" ولا "كَجْ" ولا "جَكْ" ولا "قَكَّ" ولا "كَقَّ"»([3]).

---

[1]- ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج/2، ص:812.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ج/2، ص:813.

[3]- نفسه، ج/2، ص:814.

**ب ـ تأليف المضعّف:**

وفي هذا القسم من تأليف الحروف نرى أنّ **ابن جنّي** قد أشار إلى جواز تكرار الحرف في نفس الكلمة غير أنّه في أكثر الاحيان يكون عُرضة للإدغام أو التّضعيف كما أشرنا له من قبل. والإدغام كما عرّفه البعض هو:« جعل حرفين بمنزلة حرف واحد أي أن يدغم الأول في الثاني فيلفظا حرفا واحدا مشددا»([1]).

والذي نلاحظه في هذه النقطة بالتّحديد، هو أنّ **ابن جنّي** وكأنّه اهتدى لطريقة تمكّنه من تجاوز عقبة مزج الحروف الحلقية وهو أمر لا يحسن في كلام العـرب وتجشموا العمل به وهذا ما دفعهم إلى تضعيف الحروف بإدغام بعضها في بعض تفاديا لما يعرف بتأليف المتجاور من الحـروف ولذلك جاء التّضعيف في مـرتبة أعلى في الحسن منه لما فيه من سهولة النطق واللين وهذا كما هو معلوم ديدن العرب في كلامها إذ تسعى دائما لملازمة السهولة والوضوح والابتعاد عن التعقيد والغموض.

ويرى **ابن جنّي** أنّ تضعيف الحرف أو إدغامه تِقنية لغوية تتم وفق مراحل، فلا يمكن إدغام الحرفان المتجاوران مباشرة بل إنّه يكلّفك قلب أحدهما إلى لفظ الثاني لتتمكن من إدغامهما بسهولة إلاّ أنّ ذلك يضفي شيئاً من المشقّة على العملية ممّا جعله يُرفض لذلك. وهذا لا يخالف ما سبق ذكره من مراتب تأليف الحروف، بل يعدّ تضعيف الحرف أسهل وأحسن من تأليفه مع ما يجاوره وهذا ما يفهم من قوله: «وكان تضعيف الحرف عليهم أسهل من تأليفه مع ما يجاوره، فلأجل ذلك أنّه لمّا أراد بنو تميم* إسكان العين من "مَعَهُم" استكرهوا أن يقولوا "مَعْهم" فأبدلوا الحرفين حاءين وأدغموا الأولى في الآخرة، فقالوا: " مَحُّمْ " فكان ذلك أسهل عليهم من اللّفظ بالحرفين المقتربين»([2]).

وهناك من الدّارسين المحدثين من يرى أنّ مسألة الإدغام هذه ما هي إلاّ علاقة بين الحرفين المدغمين بحيث يتأثر أحدهما بالآخر ويشترط في هذا التأثر التّشابه بين الحرفين وتماثلهما في الصفة أو المخرج ممّا جعلهم يستعملون مصطلح المماثلة بدلاً من الإدغام

---

[1]– العبيدي، **معجم الصوتيات**، المرجع السابق، ص:26.

*– قبيلة من بني حرب، تقيم في المدينة بالحجاز، عمر رضا كحّالة، معجم قبائل العرب المرجع السابق، ج/1 ص:125.

[2]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج/2، ص:816.

وقد أشار إليه **إبراهيم أنيس** في القول التالي : « ولقد أطْلقتُ عليها في كتاب الأصوات اللغوية كلمة "المماثلة" لأنّ شرط تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض أن تكون متشابهة في المخرج أو الصفة. فاذا اجتمع صوتان متماثلان كل المماثلة أو بعضها ترتب على هذا أن يؤثر أحد الصوتين في الآخر تأثيراً تختلف نسبته تبعاً للظروف اللغوية الخاصة بلغة من اللغات»([1]).

هذا بالنسبة لما يتعلق بتضعيف الحرف وهو القسم الثاني باعتباره حسن التأليف مقارنة بالقسم الأول، والذي يعتبره **ابن جنّي** مرفوض البتة وإن كان شيءٌ منه فهو قليل الاستعمال أعني بذلك تأليف ما تجاورت مخارجه من الحروف.

**ج ـ تأليف المتباعد:**

أمّا بالنسبة لهذا القسم فهو أحسن الأقسام تأليفا للحروف، حيث تتناغم فيه وتتناسق دون عناء ولا مشقّة ويسهل تركيبها فلا يُتجشم إتيانها في كلمة واحدة كما لا يتعذّر التلفظ بها في وسط الكلام لذلك يكثر منه في كلام العرب في الوقت الذي تقلّ فيه الألفاظ المعقّدة والغريبة بسبب تأليف حروفها، ويقول **ابن جنّي** في ذلك :« واعلم أنّ هذه الحروف كلّما تباعدت في التأليف كانت أحسن وإذا تقارب الحرفان في مخرجيهما قبح اجتماعهما، ولا سيما حروف الحلق ألا ترى إلى قلتها بحيث يكثر غيرها»([2]).

وهكذا نكون قد وقفنا على ما ذكره **ابن جنّي** بخصوص تأليف الحروف ومزجها مبيّنا أحسن الضروب في ذلك والحَسَن، وما قبح مزجه مستشهدا في ذلك بكلام العرب وبما توصلت إليه عبقريته الوقادة الدّالة على تميّزه ونبوغه في العلوم الصوتية باعتبارها فن من الفنون اللغوية التي شاعت في عصره.

---

[1]– ابراهيم انيس، **في اللهجات العربية**، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، مصر، د ط، د تح، 2003م، ص:62.

[2]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:65.

# الفصل الرابع

# تأثر ابن جنّي بالسابقين وتأثيره في اللاحقين

**تـوطئـــة:**

نبرز من خلال هذا الفصل أهم مواطن التأثر والتأثير عند **ابن جنّي** وذلك بعد ما أنهينا الحديث عن المظاهر التجديدية التي جاء بها **ابن جنّي** في الفصل السابق، وظاهرة التأثر والتأثير أمر لا يمكن نكرانه، كما أن العلم سلسلة لا تكتمل إلاّ باكتمال حلقاتها، وممّا لا شك فيه أنّ **ابن جنّي** يعدّ حلقة من سلسلة حلقات البحث اللغوي المتعددة التي لا يتم نظمها إلا بوجود أولى حلقاتها، لذلك فقد تأثّر **ابن جنّي** بأبحاث من سبقوه من الدارسين خاصة عميد العباقرة والنابغة المتفرد صاحب أول معجم لغوي عربي **الخليل ابن أحمد الفراهيدي**، الذي اعتمد في تأليفه على المنهج الصوتي، ثم يأتي بعده تلميذه **سيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر** الذي أفرد في كتابه الشهير "**الكتاب**" فصلا لدراسة الأصوات، و كان لهما ولغيرهم الفضل في إرساء أسس الدراسة في مجال الصوتيات العربية وتمهيد الطريق أمام **ابن جّني** الذي أضفى عليه لمسته الخاصة من تقسيمات وتصنيفات، جعلت من الدرس الصوتي علما قائما بذاته مثله مثل باقي علوم اللغة الأخرى، فكان أوّل من ألفّ كتاباً خاصا يبحث فيه القضايا الصوتية، وهذا ما ذكره المحقق **حسن هنداوي** حين قال: «ويتجاوز ثناؤهم عليه ميدان علم التصريف، فيعترفون له بالأستاذية في بقية علوم العـربية، فقـد كان ـ رحمه الله ـ إماماً في علوم : الأصوات، والاشتقاق والإعراب، واللغة، والأدب »([1]).

[1]– ابن جني، **سرّ صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:13

# المبحث الأول

# تأثر ابن جنّي بالسابقين

1- تحديد عدد الأصوات والحروف
2- ترتيب الأصوات والحروف
3- مخارج الأصوات والحروف
4- صفات الأصوات والحروف
5- مرتبة الحركة من الحرف
6- تذوق أصوات الحروف
7- الادغام

يمكن أن نحدد مواطن هـذا التأثر بعمـومه فيما يتعلـق بحروف العربية وأصواتها من حيث، عـددها، تـرتيبها مخارجها وصفاتها.

## 1ـ تحديد عدد الحروف:

من خلال استقرائنا لما جاء به **ابن جنّي** نلاحظ أنّه قد نحا نحو سابقيه نعني بذلك **الخليل** و**سيبويه** في تحديد عدد حروف العربية بتسعة وعشرين حرفا وهذا ما جاء في قوله: «اعلم أنّ حروف المعجم عند الكافة تسعة وعشرون حرفا فأوّلها الألف وآخرها الياء على المشهـور مـن حروف المعجم»([1]).

أمّا **الخليل** فقد حدّد عدد الحروف العربية في قوله: «في العربية تسعة وعشرون حرفا»([2]). وأما **سيبويه** فيقول: «فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفا»([3])، وهذا الاتفاق دليل على أنّ **ابن جنّي** قد تأثر بما ذكره كلّ من **الخليل** و**سيبويه** في تحديد عدد الحـروف وهـذا واضـح جليّ، وذلك لأنّه لـم يأت بأيّ رأي مخالف بل أقـرّ ما جاء به السابقون وهـذا ما نفهمـه مـن قـوله "عند الكافة" ففيه إشارة إلى الخليل وسيبويه.

## 2ـ ترتيب الحروف:

وبالنسبة لترتيب الحروف فالملاحظ أنّ **ابن جنّي** قد اعتمد الترتيب نفسه الذي جاء به **سيبويه** وبالتالي فقد خالفا بذلك ترتيب **الخليل**، ويقول **ابن جنّي** في ذلك: « ذكر الحـروف على مـــراتبها في الاطـــراد وهي: الهمـزة، والألف، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء والقاف والكاف، والجيم والشين، والياء، والضاد، واللام، والـراء، والنون، والطاء، والدال، والتاء والصاد والـزاي، والسين والظاء، والـــذال، والثاء، والفـاء، والباء، والميـم، والـواو. فهـذا ترتيب الحـروف على مـذاقها وتصعدها وهـو الصحيـح، فأمّـا ترتيبها في كتاب "العين" ففيه خطـل واضطراب ومخالفة لما قدمناه آنفا ممّا رتبه **سيبويه** وتلاه أصحابه عليـه، وهـو الصـواب الذي يشهـد المتأمـل له بصحته»([4]).

---

[1]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:41.

[2]– الخليل ابن أحمد، **العين**، المصدر السابق، ج/1، ص:57.

[3]– سيبويه، **الكتاب**، المصدر السابق، ج/4، ص:429.

[4]– ابن جني، المصدر السابق، ج/1، ص:45.

وهكذا فأنّ **ابن جنّي** قد تأثّر بما ذهب إليه **سيبويه** واعتبره الصواب والأصح وعقّب على ما ذكره **الخليل** في كتابه فهو يرى أنّ فيه اضطراباً لذلك خالفه.

## 3 ـ مخارج الحروف:

وفيما يخص مخارج الأصوات فالمخرج هو من المصطلحات التي ظهرت عند **الخليل** لتحديد موضع خروج الصوت فيقول: «... منها ثلاثة ذلقية (ر ل ن)، تخرج من ذلق اللسان*»([1])، أمّا بالنسبة **لسيبويه** فقد وافق رأيه رأي **ابن جنّي** موافقة تامة فيقول: أنّ لحروف العربية ستة عشرة مخرجا تجمعها أربعة أحياز كما يلي:

أـ الحلق ويضم ثلاثة مخارج: أقصاه، وأوسطه، وأدناه.

ب ـ اللسان بأقسامه الثلاثة: ويضم عشرة مخارج يشترك فيها مع الأعضاء النطقية التي يحويها تجويف الفم، مثل الحنك، الأضراس، والأسنان

ج ـ الشفتان وتضمان مخرجين هما: باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا، وما بين الشفتين.

د ـ الخياشيم وهي مخرج النون([2]).

والمتأمل لهذا القول يلحظ التطابق القائم والاتفاق الحاصل بين كلّ من **سيبويه** و**ابن جنّي** وهذا دليل على تأثر **ابن جنّي** بأستاذه **سيبويه**، والفضل في ذلك يعود **للخليل** الذي مهدّ الطريق لمن جاء بعده في مجال الدراسات الصوتية.

## 4 ـ صفات الأصوات:

وسنقف الآن على ما تأثر فيه **ابن جنّي** بسابقيه في شأن صفات الاصوات، وهو الأمر الذي يكثر لكثرة الصفات وتنوعها، فهو لم يخرج عمّا قاله **سيبويه** فيما ذكره من الصفات بل وحافظ على التعريفات والتحديدات نفسها التي ذكرها سيبويه ومن ذلك مثلا:

---

*– الخولي (محمد علي)، **معجم علم الأصوات**، مطابع الفرزدق التجارية، ط1، 1402هـ/1982م، ص:69، **الذلق** الطرف الامامي المستدق من اللسان، وهو ناطق متحرك نشط يلامس الاسنان أو اللثة أو الحنك أو يقترب منه.

[1]– الخليل ابن احمد، **العين**، المصدر السابق، ج/1، ص:51.

[2]– ينظر: سيبويه، **الكتاب**، المصدر السابق، ج/4، ص:434،433.

**ـ الشدّة /الرخاوة:**

وفي تعريف صفتي الشدّة والرخاوة، يقول **سيبويه:** «والشديد الذي يمنع الصوت أن يجري فيه»([1]).

وأمّا **ابن جنّي** فيعرفهما بقوله: «والشديد الذي يمنع الصوت أن يجري فيه ...،والرخو الذي يجري فيه الصوت»([2]). ومن خلال هذه التعريفات يتبين لنا مدى تأثر **ابن جنّي بسيبويه** الذي ركّز في تعريفه للصفات على الطريقة التي يخرج بها الصوت انطلاقا من جريان الهواء أو النفس وما يعتريه من اعتراضات في المجرى.

**ـ الجهر/الهمس:**

لقد حدّد **الخليل** صفة الهمس في القول التالي: « الهمس هو حسُّ الصوت في الفم ممّا لا اشراب له من صوت الصدر ولا جهارة له في النطق، ولكنّه كلام مهموس في الفم كالسرّ»([3]). أمّا **سيبويه** فقد عرّف الصفتين باعتبارهما متقابلتين فيقول:« فمعنى الجهر أنّه حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت... وأمّا المهموس فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى معه النفس»([4]) وهذا التعريف نفسه أطلقه **ابن جنّي** فلم يغيّر فيه، ولم يضف عليه شيئا معلنا بذلك تأثره الكبير بمن سبقه في هذا الفن.

**ـ الإطباق/الانفتاح:**

ذكر **ابن جنّي** في تعريفهما: «فالمطبقة أربعة وهي: **الضاد، والطاء، والصاد، والظاء**، وما سوى ذلك فهو مفتوح غير مطبق. والاطباق: أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مُطبِقا له»([5])، وأمّا **سيبويه** فجاء تعريفه لها كما يلي: « ومنها المطبقة، والمنفتحة. فأمّا المطبقة **فالصاد والضاد، والطاء، والظاء**. والمنفتحة: كلّ ما سوى ذلك من الحروف؛ لأنّك لا

---

[1]– سيبويه، **الكتاب**، المصدر السابق، ج/4، ص:434.

[2]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:61.

[3]– الخليل ابن احمد، **العين**، المصدر السابق، ج/4، ص:10.

[4]– سيبويه، المصدر السابق، ج/4، ص:434.

[5]– ابن جني، المصدر السابق، ج/1، ص:61.

تطبق لشيء منهن لسانك، ترفعه للحنك الأعلى»([1])، كما أنّ **الخليل** استعمل هذا المصطلح وأطلقه على حرف الميم فقط يقول:« وكان **الخليل** يسمي الميم مطبقة لأنّها تطبق الفم إذا نطق بها»([2])، والملاحظ هنا أنّ **ابن جنّي** أشار إلى المعني نفسه الذي أراده **سيبويه** وهو حركة اللسان أثناء التلفظ بالحـروف المطبقة حيث يـرتفع اللسان إلى أن ينطبق مع الحنك الأعلى ومن هنا نستدل على تأثر **ابن جنّي بسيبويه**، والمعنى نفسه أراده **الخليل** في صفة الاطباق غير أنّه اعتبرها خاصة بحرف **الميم** وذلك لوضعية الفم اثناء التلفظ به فما يحدث فيه مـن إطباق للشفتين جعله يخصه بهذه الصفة دون غيره من الحروف وهذا واضح في قوله السابق.

**ـ الحرف المنحرف:**

ولقد عرّفه **سيبويه** بأنّه: «...وهو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة، وهو **اللام**. وإن شئت مددت فيها الصوت وليس كالرخوة؛ لأنّ طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه. وليس يخرج الصوت من موضع اللام ولكن من ناحيتي مستدق اللسان فويق ذلك»([3])، وأمّا **ابن جنّي** فيقوله: «ومن الحروف حرف منحرف؛ لأنّ اللّسان ينحرف فيه الصوت، وتتجافى ناحيتا مستدق اللسان عن اعتراضهما على الصوت، فخرج الصوت من تينك الناحيتين وممّا فويقهما، وهو اللام»([4])
فالملاحظ أنّ **ابن جنّي** اكتفى بما ذهب اليه **سيبويه** في تعـريف صفة الانحـراف والحـرف الذي تختص به، غيـر أنّ **سيبويه** ذكر صفة أخرى لهذا الحرف وهي أنّه شديد جـرى فيه الصـوت لانحـراف اللسان مع الصوت كما بيّنه في القول السابق.

**ـ الحرف الهاوي:**

كذلك الأمر بالنسبة للحرف الهاوي فقد تأثّر **ابن جنّي** بسابقيه في تعريفه وتحديد صفاته **فسيبويه** يعرّفه على النحو التالي: « ومنها الهاوي وهو حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه أشدّ من اتساع مخـرج **الياء والواو**، لأنّك تضم شفتيك في الواو وتـرفع في الياء لسانك قِبَل الحنك

---

[1]– سيبويه، **الكتاب**، المصدر السابق، ج/4، ص:434.

[2]– الخليل ابن أحمد، **العين**، المصدر السابق، ج/1، ص:58.

[3]– سيبويه، المصدر السابق، ج/4، ص:435.

[4]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:63.

وهي **الألف**»([1])، و**ابن جنّي** أيضا يشير في حديثه عن الحروف الصحيحة والمعتلة إلى الحرف الهاوي بأنّه أشدّ امتدادا وأوسع مخرجا وهو الألف([2])، فهذا الاتفاق في المعنى دليل على الاتفاق في الفكرة وذلك أن كليهما لاحظا ما في هذا الحرف من شدّة امتداد، واتساع للمخرج وهو ما يعني التأثّر الحاصل بينهما.

**ـ الحرف المكرر:**

أمّا الحـرف المكـرر فقد توافقا على تعـريفه إضافة إلى ما ذكـرناه، ويعـرّفه **ابن جنّي** بقوله: «ومنها المكرر، وهو الراء، وذلك أنّك إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكرير، لذلك أحتسب في الإمالة بحرفين»([3])، أمّا **سيبويه** فيعرّفه بأنّه: «حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام، فتجافى للصوت كالرخوة، ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه وهو الراء»([4])، وما يمكن ملاحظته هو أنّ كليهما استوقفتهما حالة اللسان غير المستقرة اثناء النطق بالراء والتردد الذي يعتريه لذلك ربط **سيبويه** جريان الصوت في الراء بهذه الصفة، كما أنّ من الدارسين المحدثين الذين اثبتوا هذه الصفة **لصوت الراء**، وهذا ما أشار اليه العبيدي في معجمه بقوله: «وهو ارتعاد أو ترعيد أو ذبذبة، أو تعثّر يكون في طرف اللسان عند تلفظ حرف الراء»([5]).

**ـ الحروف المتفرعة:**

تأثّر **ابن جنّي** إضافة إلى ما ذكرناه بالتقسيم الفرعي للحروف ونعني به تلك الحروف المتفرعة عن الحروف التسعة والعشرين الاصلية، فمنها ما هو مستحسن يعتدّ به في قراءة القرآن والكلام الفصيح، ومنها غير المستحسن إذ لا يؤخذ به في قراءة ولا في فصيح كلام ولا شعر، و قد أشار كلّ من **ابن جنّي** و**سيبويه** إلى هذه النقطة، إذ يقول هذا الاخير:« وتكون خمسةً وثلاثين حرفا بحروف هُنّ فروع، وأصلها من التسعة والعشرين، وهي كثيرة وتستحسن

---

[1]– سيبويه، **الكتاب**، المصدر السابق ، ج/4، ص:436.

[2]– ينظر: ابن جني، **سرّ صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:62.

[3]– المصدر نفسه، ج/1، ص:63.

[4]– سيبويه، المصدر السابق، ج/4، ص:435.

[5]– العبيدي، **معجم الصوتيات**، المرجع السابق، ص:73.

في قراءة القرآن والأشعار وهي : **النون الخفيفة، والهمزة التي بين بين، والألف التي تمال إمالة شديدة، والشين التي كالجيم، والصاد التي كالزاي، وألف التفخيم**، يُعنَى بلغة الحجاز في قولهم: الصّلاة والزّكاة والحَيَاة .وتكون اثنين وأربعين حرفا بحروف غير مستحسنة، ولا كثيرة في لغة من تُرتضى عربيته ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر»([1])، أمّا **ابن جنّي** فيقول: «واعلم أنّ هذه الحروف الستة والعشرين قد تلحقها ستة أحرف تتفرع عنها، حتى تكون خمسة وثلاثون حرفا. وهذه الستة حسنة يؤخذ بها في القرآن وفصيح الكلام، وهي: **النون الخفيفة، ويقال الخفية، والهمزة المخففة وألف التفخيم، وألف الامالة، والشين التي كالجيم الصاد التي كالزاي...**»([2])، والذي نستنتجه هنا أنّ **ابن جنّي** قد اقتدى **بسيبويه** في هذا التفريع رغم بعض الفروق في التسميات أو المصطلحات المستعملة كقول **سيبويه** في الهمزة التي بين بين أمّا **ابن جنّي** فقال **الهمزة** المخففة وعليه فالتأثر واضح.

**ـ حروف الذلاقة:**

وأيضا ممّا تأثر فيه **ابن جنّي بالخليل** صفة الذلاقة، والتي اعتبرها **الخليل** معيارا يُعرف به أصيل الكلمات من دخيلها، وهذا واضح في قوله : « فإن وردت عليك كلمة رباعيّة أو خماسيّة معرّاة من حروف الذلق أو الشفوية، ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك، فاعلم أنّ تلك الكلمة محدثة مبتدعة، ليست من كلام العرب لأنّك لست واجداً من يسمع من كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية إلاّ وفيها من حروف الذلق أو الشفوية واحدا أو اثنان»([3])، وعليه فإنّنا نرى أنّ **ابن جنّي** قد تأثر **بالخليل** في إطلاقه هذه الصفة على تلك الحروف **(الباء، الراء، الفاء، اللام ، والميم والنون)** كما أنّه يذهب إلى ما ذهب **الخليل** في تسميتها بهذا الاسم لأنّها تعتمد على ذلق اللسان أي طرفه عند النطق بها إذ يقول: « اعلم أنّ الحروف الذلق والشفوية ستة وهي: **ر، ل، ن ف، ب، م** وإنّما سمّيت هذه الحروف ذلقا لأنّ الذلاقة في النطق إنّما هي بطرف أسلة اللسان والشفتين وهما مدرجتا هذه الاحرف الستة، منها ثلاثة ذلقية **ر ل ن**، تخرج من ذلق اللسان وثلاثة

---

[1]– سيبويه، **الكتاب**، المصدر السابق، ج/4، ص:432.

[2]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج1/، ص:46.

[3]– الخليل، **العين**، المصدر السابق، ج/1، ص:52.

شفوية: **ف ب م**، مخرجها من بين الشفتين خاصة»([1])، و**ابن حنّي** يقول عن الحروف الذّلاقة « ومنها حروف الذلاقة وهي ستة: **اللام، والراء والنون، والفاء والباء، والميم**؛ لأنّه يعتمد عليها بذلق اللسان وهو صدره وطرفه»([2])، وهكذا يتضح تأثر **ابن جنّي بالخليل**. إلاّ أنّ **الخليل** فرّق بين الحروف الذّلق والشفوية وهذا مفهوم من قوله السابق، في حين أنّ **ابن جنّي** اعتبرها كلّها متصفة بهذه الصفة لأنّ الاعتماد في نطقها يكون على ذلق اللسان.

**5 ــ مرتبة الحركة من الحرف:**

وممّا نجده من تأثّرُ **ابن جنّي** بأستاذه **ابي على الفارسي** أنّه يستشهد بأقواله، في بعض المسائل التي ناقشها وكيف لا وهو شيخه وأستاذه الذي أخذ عنه العلم وكان كثير الإعجاب به وطالت ملازمته له في حلّه وترحاله، يقول **ابن جنّي** مثلا في مناقشة مسألة مرتبة الحركة من الحرف والتي طال نقاشه لها: « واستدل **أبو علي** على أنّ الحركة تحدث مع الحرف بأنّ النون الساكنة إذا تحركت زالت عن الخياشيم إلى الفم، وكذلك الألف إذا تحركت انقلبت همزة، فدلّ ذلك عنده أنّ الحركة تحدث مع الحرف، وهو لعمري استدلال قويّ. وقد ذكرتُ في كتاب الخصائص فساد هذا القول من **أبي علي**»([3])، وهذا يعدّ من باب التأثر أيضا.

**6 ــ تذوق الحروف:**

كما نجد أنّ **ابن جنّي** قد تأثر **بالخليل** في منهجه وطريقة تذوقه لحروف العربية للتعرف على مخارجها بدقةّ لأنّه هو أوّل من أبدع هذه الطريقة، إلاّ أنّه خالفه في حركة الهمزة التي تسبق الحرف الساكن، ويوضح ذلك في قوله: «وسبيلك إذا أردت اعتبار صدى الحرف أن تأتي به ساكنا لا متحركاً؛ لأنّ الحركة تقلق الحرف عن موضعه ومستقره، وتجتذبه إلى جهة الحرف الذي هي بعضه، ثم تُدخل عليه همزة الوصل مكسورة من قبله؛ لأنّ الساكن لا يمكن الابتداء به فتقول: اِقْ. اِقْ. اِجْ»([4])، والأمر نفسه ذكره **الخليل** على لسان الليث في قوله:« وإنّما كان ذواقه إيّاها أنّه كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف، نحو ابْ، اثْ

---

[1]– الخليل، **العين**، المصدر السابق، ج/1، ص:51.

[2]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق ، ج/1، ص:64.

[3]– المصدر نفسه، ج/1، ص:33.

[4]– نفسه، ج/1، ص:65.

احْ، اعْ، اغْ، فوجد العين أدخل الحروف في الحلق»([1])، فهذا التوافق لم يكن عفويا ولا ارداديا بل هو دليل على تأثر **ابن حنّي** بالمعلم الأكبر الذي كشف الحجاب عن دراسة الأصوات وهذا هو سبيل كل الدارسين والباحثين أن يتأثروا بمن سبقهم في مجال بحثهم، لكنّ **ابن جنّي** كان دائما متميزاً بإضفاء مسحته الخاصة وهذا ما نلاحظه في التغيير الذي ألحقه بتقنية **الخليل** في تذوق الحروف لمعرفة مخارجها بشكل دقيق.

**7 ـ الادغـــام:**

وممّا أشار إليه **ابن جنّي** أيضا وهو من المواطن التي قد تأثر فيها **بسيبويه** الإدغام والذي نرى أنّ **سيبويه** قد أفرد له باباً في كتابه تحدث فيه عن كلّ ما يتعلق بالإدغام متطرقاً لأنواعه وأقسامه التي تجوز و تحسن، والتي لا تجوز و لا تحسن، وربما كانت ظاهرة الإدغام هذه هي الدافع الذي جعل **سيبويه** يعرّج على دراسة الأصوات اللغوية وذلك بدليل قوله: « إنّما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه وما تُبْدله استثقالا كما تدغم، وما تخفيه وهو بزنة المتحرك»([2])، ونرى أنّ **ابن جنّي** يشير في حديثه عن الأصوات إلى ما يجوز فيه الإدغام ويعلّله أحيانا مستدلا بذلك على ظواهر لها شأن بالأصوات والحروف وما يتعلق بها من حركات، وهو بلا شك يعتمد على ما كان قد ذكره **سيبويه** من قبل وأبانه، ونذكر من ذلك على سبيل المثال ما ورد في كلامه أثناء مناقشته لقضية مرتبة الحركة من الحرف يقول فيه: «...وأيضاً لو كانت **الحركة** قبل الحرف لما جاز الإدغام في الكلام أصلاً؛ ألا ترى أنّك تقول "تقَطَّعَ" فتدغم الطاء الأولى في الثانية، ولو كانت حركة الطاء الثانية في الرتبة قبلها لكانت حاجزةً بين الطاء الأولى وبين الطاء الثانية، ولو كان الأمر كذلك لما جاز إدغام الأولى في الثانية ...»([3]).

ومن هذا المنطلق واعتمادا على ما تم ذكره، فإنّنا نرى أنّ في أعمال **ابن جنّي** ما يثبت تأثّره بمن سبقوه من الدارسين، خاصة في دراسة الحروف وتحديد المصطلحات الصوتية

---

[1]– الخليل ابن أحمد، **العين**، المصدر السابق، ج/1، ص:47.

[2]– سيبويه، **الكتاب**، المصدر السابق، ج/4، ص:436.

[3]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:28.

المتعلقة بمخارجها وصفاتها، إلى جانب بعض المعاني والمفاهيم، وهـذا التأثـر يقـرّه الباحثـون والدارسـون المحدثـون أمثال: الدكتـور **خليل ابراهيم العطية** حيـن يقـول: «وقد تـرسّم **ابن جنّي** والآخـرون خطـى رائد علم الصوت العربي **الفراهيدي** وتلميذه **سيبويه** في ذلك...»[1] وكلّ هذه الصفات التي ذكرناها وغيـرها ممّا قد تأثـر فيه **ابن جنّي** بمن سبقه مـن الدارسيـن خاصة **سيبويه،** فهـو لا يكـاد يخالفـه أو يخـرج عمّا ذكـره إلا بشيء مـن التفصيـل البسيـط أو الشرح القليل، وتجـدر الإشارة هنا إلى أنّ جـلَّ ذلك التأثـر كان **بسيبويه** ومتعلّق بالتحديدات والمصطلحات، وهـذا متـوقّع لأنّ **ابن جني** قـرأ كتاب **سيبويه،** ومـن الطبيعي أن يعجب ببعض آرائه وأفكاره.

[1]– ابراهيم العطية، **في البحث الصوتي عند العرب**، المرجع السابق، ص:110.

# المبحث الثاني

# تأثير ابن جنّي في اللاحقين

1- تأثيره في كمال بشر

2- تأثيره في خليل إبراهيم العطية

لقد سبق وأن أشرنا إلى أنّ عمليتي التأثر والتأثير، تبقى قائمة ما بقيت الحياة العلمية وذلك أنّ العلم سلسلة واحدة، كلّ من ولج بابه فهو يعدّ إحدى حلقاته، وجرت العادة على أن يأخذ اللاحقين من السابقين لهم في أيّ مجال علمي ومعرفي، وهذا ما دفعنا للوقوف في هذا المبحث على بعض الدارسين المحدثين الذين تأثروا **بـ: ابن جنّي** في مجال الدراسات الصوتية.

وفيما يلي سنحاول الوقوف على ما تأثّر به **كمال بشر** من خلال كتابه الذي عنونه بـ: "علم الأصوات".

وقبل أن نبدأ في تحديد النقاط التي تأثر فيها **كمال بشر بـ: ابن جنّي**، رأينا أن نعرج على ذلك الاعتـراف بالفضل للدارسين القدماء الذي أقرّ به **كمال بشـر** في قوله: «... حتى لنقول ـ باختصارـ أنهم كانوا سباقين، وروّادا في تشكيل منهج علمي مقبول بل على درجة عالية من الجودة، إذا قيس بزمنهم السحيق الذي لم يحظوا فيه بأدوات البحث الصوتي الدقيق وأجهزته الفاعلة، وربما كان عملهم في هذا الميدان قليلا في كمّه، ولكنّه عميق في كيفه، إذ نجحوا في تفسير مادّته وتحليلها وتقعيدها محقّقين نجاحا يفوق ما سلكوه في معالجة المستويات اللغوية الأخرى من صرف ونحو ..إلخ، ونؤكد ذلك بقولنا نحن " لم ينجح العرب في دراساتهم اللغوية نجاحهم في دراسة الأصوات " أي من حيث النظر العلمي والتقعيد الموضوعي والاهتمام البالغ بالكيف لا بالكم»([1]).

**1ــ تأثير ابن جنّي في كمال بشر:**

**أ ــ في الأصوات ومخارجها:**

ـ لقد تأثر **كمال بشر** بالقدماء في تصنيفه للأصوات إلاّ أنّه قام بتغيير بعض المصطلحات فمثلا أطلق على صفة الشديدة مصطلح الانفجارية*، وهذا ممّا تقتضيه ضرورة مسايرة مراحل الحياة وخاصة في العصر الحالي حيث تتوفر للباحثين كلّ الوسائل التي تساعد على دقّة

---

[1]– كمال بشر، **علم الأصوات**، المرجع السابق، ص:241.

*– عند النطق بهذه الأصوات يسمع انفجار خفيف ناتج عن اندفاع الهواء المنحبس خلف مخرج الصوت، وهناك مصطلح آخر للإنفجارات هو الوقفات، إذ أن مصطلح الوقفات يشير الى قفل مجرى الصوت قفلا كاملا. الأصوات الانفجارية في اللغة العربية هي: ب, ض، د, ك، ت، ء، ق، ط. فاتن بشير عبد الاحد، بحث بعنوان، **تقطيع الكلمات العربية الى أحرف وتمييزها** مجلة الرافدين لعلوم الحاسبات والرياضيات، جامعة الموصل، المجلد2، العدد2، 2005، ص:04

البحث وتحقيق نتائج أكبر، وهذا سبب التغير الذي تشهده المصطلحات فما رآه القدماء وما عدوه شديداً أصبح في نظر المحدثين انفجاريا وفقا لما أثبتته التجارب العلمية المخبرية.

وأيضا نجد أنّ **كمال بشر** يستدل بأقوال **ابن جنّي** أثناء مناقشته لبعض المسائل وذلك في مثل حديثه عن مسألة **الضاد** وكيفية نطقها والموضِع الذي تخرج منه فيقول :« فيما يتعلق بموضع النطق فقد نسبها **سيبويه** ـ وتبعه في ذلك **ابن جنّي** وغيرهم ـ إلى منطقة تلي الجيم والشين والياء أمّا **الخليل** فقد نسبها إلى حيز الجيم والشين، لا إلى حيـز تالٍ لمخـرجها...»([1]). كما أنّه يستشهد بقـول **ابن جنّي** في تحديد مخرج الضاد* الذي يقول :«ومن أوّل حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد، إلاّ أنّك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن، وإن شئت من الجانب الأيسر»([2])، ويشير **كمال بشر** إلى الاختلاف الموجود بين **ضاد** اليوم، و**الضاد** التي كان ينطق بها في القديم، وهذا ما يصعِّب تحديد مخرجها، نظرا لعدّة عوامل قد يكون أهمّها ما يعرف حاليا بتطور الأصوات، وذلك بتغير مخرج الصوت تبعا لتغير كيفية نطقه.

ـ كما يعتمد **كمال بشر** على قول **ابن جنّي** في مسألة إدغام **الضاد** في **الطاء**، وما يكتنفها من غمـوض فـي تحديد صفتها أهي شديدة أم رخـوة، فيقول: «وهـذا الكلام نفسه يفهـم من عبـارة **لابن جنّي** يتكلم فيها عن عدم إدغام الضاد في الطاء، فيقول: " وأما الضاد فلأن فيها طولا وتفشيا فلو أدغمت في الطاء لذهب ما فيها من التفشي، فلم يجز ذلك"، فوصفها بالتفشي يعني أنها رخوة أي احتكاكية»([3]).

ـ أشار **كمال بشر** إلى القاف وموضع نطقها عند **ابن جنّي**، حيث ذكر أنّها من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى، وهذا ما جاء في قوله: «أما من حيث موضع النطـق فقـد وصفـها **سيبويه** ـ وتابعه في ذلك ابن جنّي وغيره بأنّها ـ مـن أقصى اللسان ومـا فوقه من

---

[1]– كمال بشر، **علم الأصوات**، المرجع السابق، ص:254.

*– حرف الضاد، هو الحرف الذي سميت به العربية كما هو شائع. ففي المسألة كلام كثير للدارسين، ومن أقوالهم. «فعلماء اللغة حتى أواخر القرن الثاني من الهجرة لم يشيروا إلى صوت على أنه مما تميزت به العربية وحدها، ولم يطلقوا على هذه اللغة ذلك القول المأثور(لغة الضاد)، وكل ما أشاروا اليه في كتبهم أن كان هناك أنواع من النطق غير مستحسنة وقعت في بعض الأصـــوات ومـــن بينها الضاد». ابـــراهيم أنيس، **اللغة بين القـــومية والعالمية**، دار المعـارف بمصر، دط، د تح د تا، ص:199.

[2]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:47.

[3]– كمال بشر، المرجع السابق، ص:257.

الحنك الأعلى وهم في ترتيبهم للحروف من حيث المخرج وضعوا القاف تالية للغين والخاء لا قبلها وهذا الترتيب عند **سيبويه (والعين و الحاء والغين والخاء والكاف والقاف)**، وقد جاء ترتيب **الخليل** و**ابن جنّي** موافقا لما وصفه **سيبويه** هنا، من جعل القاف في موضع تال للغين والخاء»([1]).

ـ أيضا ممّا نجده من أثر لما جاء به **ابن جنّي** في أعمال الدكتور **كمال بشر** أنّه أشار إلى الترتيب الذي رتب فيه كلّ من **السين والزاي والصاد** بُغية تحديد مخارجها، رتبها بعد مخرج **الطاء والتاء والدال** وهذا ما جاء في قوله :« ونلاحظ أنّ علماء العربية (و**ابن جنّي** بالذات) وضعوا **السين والزاي والصاد** في مرتبة تلي مخرج **الدال والتاء والطاء** من ناحية الأمام وجاء وصفه لهذه الحروف بما يوهم أنّ **الصاد والزاي والسين** أصوات سنية تحدث عن طريق طرف اللسان خلف الأسنان أو بينها، على حين يذكر أنّ **الطاء والتاء والدال** أصوات أسنانية لثويه »([2]).

ـ كما أشار إلى ما اهتدى له **ابن جنّي** من حركة اللسان ووضعه عند النطق بحرف الراء وما يكون عليه من اضطراب، فقال: «وذلك أنّك إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتغير بما فيه من التكرار»([3]).

وهذا ما أشار إليه في معرض حديثه عن **الراء** وصعوبة تحديد صفتها أهي شديدة أم رخوة، ثم ينوه ويشيد بما توصل إليه **ابن جنّي** وهو صفة التكرار التي يتصف بها حرف الراء([4]).

ـ ومما نورده أيضا في هذا المقام هو استشهاد **كمال بشر** بقول **ابن جنّي** في وصفه لحرف اللام وتسميته بالمنحرف، وقد أرجع ذلك لحركة اللسان حال التلفظ به، مبيّنا ما توصل له **ابن جنّي** من خلال ملاحظته الدقيقة لهذا الحرف مشيرا في الأخير إلى موافقته لغيره بوصفه أو تسميته بالمنحرف، وكل هذا ضمّنه **كمال بشر** في القول التالي :« ...وقد لاحظ اللغوي الفيلسوف **ابن جنّي** هاتين الخاصتين، حيث ذكر هذا الصوت عند تصنيفه للأصوات في موضعين مختلفين بالاعتبارين السابقين ولكنّه في النهاية سار على نهج غيره في تسميته

---

[1]– إبراهيم العطية، **في البحث الصوتي عند العرب**، المرجع السابق، ص:276.

[2]– المرجع نفسه، ص:302.

[3]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصادر السابق، ج/1، ص:63.

[4]– ينظر: كمال بشر، **علم الأصوات**، المرجع السابق، ص:346.

بالصوت المنحرف(الجانبي) يقول **ابن جنّي** : "لأن اللسان ينحرف فيه مع الصوت (الهواء) وتتجافى ناحيتي مستدق اللسان عن اعتراضهما على الصوت ، فيخرج الصوت من تينك الناحيتين أو مما فويقهما"»([1]).

ـ كذلك يشير **كمال بشر** إلى ما أضافه **ابن جنّي** للأصوات المتوسطة ـ أي التي بين الشدة والرخاوة ـ وهو عنده من الأمور التي تستحق الوقوف عندها في دراسة الأصوات وهذا ممّا يبيّن مدى تأثره **بـ: ابن جنّي** وهذا ما نجده في قوله: « فالأصوات المتوسطة إذن عند غالبيتهم خمسة. وزاد **ابن جنّي** وغيره عليها ثلاثة وهي **الألف والياء والواو**، وسماها جميعا "الحروف التي بين الشديدة والرخوة". يقول **ابن جنّي:** " والحروف التي بين الشديدة والرخوة ثمانية... وهي **الألف والعين والياء واللام والنون والراء والميم والواو**. ويجمعها في اللفظ لم يروعنا وإن شئت قلت لم يروّعنا. وإن شئت قلت لم يرعونا"»([2]).

ـ ولمّا تحدث **كمال بشر** عن الحروف المذلقة ذكر سبب تسميتها بذلك عند بعض الدارسين القدماء مبيّنا أنّه هو مذهب **ابن جنّي** نفسه في ذلك، وهذا ما يتبين لنا من القول التالي « يرى فريق آخر إنّ مصطلح الذلاقة صفة مخرجية فيطلقه على هذه الأصوات الستة ولكن بالنسبة إلى مخارجها، بقطع النظر عمّا يرتبط بها من خفة وسهولة في النطق. فيقول **ابن سنان الخفاجي** " ومن الحروف (حروف الذلاقة). ومعنى الذلاقة أن يعتمد عليها بذلق اللسان وهو طرفه، وذلق كل شيء حدّه. وهي ستة أحرف **اللام والراء والنون والفاء والباء والميم**"، وهذا الاتجاه نفسه أخذ به **ابن جنّي** وغيره من الدارسين، على أساس أنّ هذه الحروف يعتمد عليها "بذلق اللسان وهو صدره وطرفه"»([3]).

ـ كما أنّه يعترف بأهمية هذه الحروف في العربية، وما لها من قيمة ودلالة صوتية وذلك باتخاذها معيارا للتعرّف على أصالة الأبنية من الكلمات أو توليدها وابتداعها، فهذا المنهج أقرّ به **ابن جنّي** على غرار الشيخ الأول **الخليل** وهو ما نجده في قول **كمال بشر** التالي: «وقد انتقل هذا المبدأ المهم إلى أعمال من خلفوه الذين تأكد لهم صدق ما قرّره الشيخ الأوّل. من هؤلاء **ابن جنّي** الذي صرّح بما صرّح به **الخليل**، وإن كان ذلك في عبارة أوضح وأسهل

---

[1]– كمال بشر، **علم الأصوات**، المرجع السابق، ص:347.

[2]– المرجع نفسه، ص:355.

[3]– نفسه، ص:361.

يقول **ابن جنّي** في كتابه " سر صناعة الإعراب": " وفي هذه الحروف الستة (حروف الذلاقة) سرٌّ طريف يُنتفع به في اللغة. وذلك أنّك متى سمعت اسما رباعياً أو خماسياً غير ذي زوائد فلابدّ فيه من حرف من هذه الستة أو حرفين، وربما كان فيه ثلاثة"»([1]).

ـ وأيضا يستدل بقول **ابن جنّي** في إلحاق بعض الحروف بحروف الذلاقة وهي الدال والسين والقاف، وذلك لوقوعها في المرتبة الثانية من حيث كثرة الاستعمال وورودها في كلام العرب ويشير إلى رأي علماء العربية الذين فسّروا ذلك بأنّ لهذه الحروف خواص صوتية تؤهلها لتكون في تلك المرتبة التي هي فيها، وهذا ما ورد ذكره في قول **كمال بشر** حين قال «كما قال **ابن جنّي** وفي الدال عذوبة ولين ففاقت أختيها التاء والطاء. أمّا السّين فقد "لانت عن استعلاء الصاد ورقت عن جهر الزاي فعذبت "، وخفّ نطقها لهذه الصفات. ومن ثم كانت القاف والسين والدال أصواتا صالحة لأن تحل محل أصوات الذلاقة في الكلمات الخالية منها كما قرره علماء العربية أنفسهم»([2]).

ـ أشار **كمال بشر** إلى حروف القلقلة، وذكر اتفاق أكثر الدارسين على تسميتها بهذا المصطلح والذي يرى أنّ سبب إطلاقه يعود إلى وجوب قلقلتها أي تحريكها تحريكا خفيفا عند مجيئها ساكنة وهو ما قاله **ابن جنّي** الذي عدّها حروف مشربة التي يُضغط فيها الحرف عند موضعه، وهي حروف القلقلة :« واعلم أنّ في الحروف حروفاً مشربة تُحْفَزُ في الوقف وتضغط عن مواضعها وهي حروف القلقلة، وهي : القاف، والجيم، والطاء، والدال، والباء لأنّك لا تستطيع الوقوف عليها إلاّ بصوت، وذلك لشدّة الحفز والضغط، وذلك نحو: الحقْ واذهبْ واخلطْ واخرجْ وبعض العرب أشدّ تصويتاً»([3])، ثم يستدل برأي **ابن جنّي** في ذات السياق عن الحروف المقلقلة لمّا أشار إلى التغيير الذي يلحق حرف الجيم إذا جاءت ساكنة وغير مقلقلة فإنّها تنطق شين ويذكر أنّ هذا ما أشارت له العرب قديما إذ يقول :« وقد أشار العرب في القديم إلى هذا الاحتمال، وهو صيرورة الجيم الساكنة بدون قلقلة شيناً فقالوا: وقد ينطق بالشين بدل الجيم استهجانا، إذا ساكنة وتلاها دال أو تاء نحو(أجدر) (واجتمعوا)، وربما يحدث هذا الإبدال في حالة عدم القلقلة في مواقع أخرى. فقد روى ابن جنّي في "سر صناعة

---

[1]– كمال بشر، **علم الأصوات**، المرجع السابق، ص:364.

[2]– المرجع نفسه، ص:367.

[3]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:63.

الإعراب" قـول الـراجز: ( إذ ذاك إذ حبل الـوصال مُدمَشُ) أي: (مدمج) بالشيـن بـدل الجيم أو بالجيم الشامية نطقا»([1]).

ـ وفي حديثه عن المقطع أشار إلى قول **ابن جنّي** مستشهدا به على تعريف المقطع* وكيفية قطع الهواء وما تأثير ذلك في تغييـر صفات الحـروف ومخارجها يقول **ابن جنّي** في ذلك: «اعلم أنّ الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا. وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها»([2])، وفي حديثه عن المقطع وأنواعه يعـود لقـول **ابن جنّي** الذي يستنتج منه بعض الملاحظات بخصوص المقطع الطويل ويرى أنّ في نطقه شيء من الصعوبة حسب فهمه لقول **ابن جنّي** عن المقطع([3]).

ـ التنغيم ظاهرة صوتية ناقشها الدكتور **كمال بشر**، وهو يرى أنّها من خصائص الكلام ولا تنفك عنه ولا تنفصل منه، ساعيا من خلال ذلك لإثبات حقيقة موسيقى الكلام التي تستوجبها أغـراض الكلام المختلفـة وبالتالي يصيـر منغما، واستشهد لذلك بقـول **ابن جنّي** حيـن قـال « وهـذا **ابن جنّي** يختتم مقدمة كتابه "سر صناعة الإعراب" الذي كرّسه لدراسة أصوات العربية بقوله: "وهذا العلم هو علم، أعني الأصـوات والحـروف، له تعلـق ومشاركة للمـوسيقى، لما فيه من صنعة الأصـوات والنغم"»([4]).

**ب ـ أنواع الحركات وأقسامها:**

ـ وفي تمييزه لنوعي الحركات القصيرة والطويلة** فإنّه يشير إلى ما توصّل إليه السابقون ويستدل بقـول **ابن جنّي** على كيفية استطالة الصـوت وجـريان الهـواء فيه، وهـو ما يحـدث في الحركات الطويلة أو ما يعرف بأصوات المد، وهذا قول **ابن جنّي**: «فإن اتسع مخرج الحرف

---

[1]– كمال بشر، **علم الأصوات**، المرجع السابق ، ص:383.

*– المقطع أو المقاطع ـ كما هو واضح من النص ـ إنما تعني قطع الهواء أو وقوفه كليا كما في الأصوات (الوقفات) كمال بشر، المرجع نفسه، ص:506.

[2]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق ، ج/1، ص:06.

[3]– ينظر: كمال بشر، المرجع السابق ، ص: 511،512.

[4]– ابن جني، المصدر السابق، ج/1، ص:09.

**– الحركات القصيرة هي: الضمة، الفتحة، والكسرة أما الحركات الطويلة فهي: الواو، الالف، والياء. ينظر: ابن جني المرجع نفسه، ج/1، ص:17.

حتى لا يقتطع الصـوت عـن امتداده واستطالته استمـر الصـوت ممتداً حتى ينفد...، فيفضي حسيراً إلى مخرج الهمزة فينقطع بالضرورة عندها إذ لم يجد مقطعا فيما فوقها. والحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة: **الألف ثم الياء ثم الواو**»([1])، ثم يقـدم شرحا لهذا القـول مـن منظوره الحديث، مشيـراً إلى تأكيد **ابن جنّي** لما قاله عنـدما قارن بين آلة الناي وجهـاز النطـق عند الإنسان، إلا أنّنا نرى أنّه لم يخرج عن المفهوم الذي جاء به **ابن جنّي**([2]).

ـ وممّا ذكره **كمال بشر** أنّ **ابن جنّي** قد أضاف حرفي الواو والياء إلى الحروف المشبهة بالحركات حيث، أصبحت ثمانية يجمعها قولك (لم يروعنا) بعد ما كانت ستة مجموعة في قولك (لن عمر) وهذا ما ضمنه في حديثه عن تقسيمات العرب لأصوات لغتهم أو حروفها إلى ما هو شديد وما هو متوسط وآخر رخو، فأشار إلى أنّ **ابن جنّي** أضافَ إلى ما عرف عند **كمال بشر** بأشباه الحركات حرفي الياء والواو([3]).

ـ ونجد أيضا أنّ **كمال بشر** قد أشاد معجبا بإبداعه وإنجازه العظيم عموما وما قاله **ابن جنّي** عـن الحـركات، واعتبـر ذلك التعبيـر أوضـح وأقـرب للفهـم والاستيعـاب وهـذا ما نجـده فـي قـوله:«...ويعبّر عن هذه العلاقة (علاقة الجزئية بين الحركات وحروف المد) بعبارات أوضح وأقرب منالاً للاستيعاب فيقول: "اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين. وهي **الألف والياء والواو** فكما أنّ هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاثة، وهي الفتحة والكسرة والضمة فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو، وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة والضمة الواو الصغيرة، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة". ويبدو أنّه قد فات بعض النحويين الكبار إدراك هذه العلاقة»([4]).

ـ وممّا يُظهر تأثر **كمال بشر بابن جنّي** اعترافه له بصحة ما ذهب في نقطة مهمة في نظره وهي أنّ الحركات عرضة للتّغير في نطقها من حال لآخر وفق السياق الصوتي الذي ترد فيه رغم أنّه يشيـر لمخالفـته له فيها، ويـرى بأنّـها حـركات أخـرى غيـر تلك الأصلية، فيقـول في ذلك **كمال بشر**: «ومهما يكن الأمر فقد أصاب **ابن جنّي** في نقطة مهمة لم يدركها الكثيرون

---

[1]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:06.

[2]– ينظر: كمال بشر، **علم الأصوات**، المرجع السابق، ص:160.

[3]– ينظر: المرجع نفسه، ص:377.

[4]– المرجع نفسه، ص:422.

من قبله ومن بعده. وهي أنّ الحركات تخضع للتغير في نطقها من حال إلى حال وفقا للسياق الصوتي الذي تقع فيه. ولكنّا مع ذلك لسنا معه في احتسابه صور هذا التغير حركات مستقلة»([1]).

ـ ونجده في حديثه عن التطور الذي تشهده أيّة لغة من اللغات خاصة على المستوى الصوتي وفيما يتعلق بالحركات تحديدا، يشير إلى ما أصاب العربية عبر العصور من تطور إلاّ أنّه كما يقول لم يُدوّن ولم يَحظ بدراسة دقيقة يعوّل عليها، ورغم ذلك فإنّه يشيد بأعمال روّاد اللغة الأوائل مثل **الخليل** و**سيبويه** و**ابن جنّي** وجاء في قوله :« أمّا ما صنعه الروّاد الأوائل في هذا الشّأن من أمثال **الخليل** و**سيبويه** و**ابن جنّي** ومن سار على دربهم فهو يمثل عملا علمياً رائعا في حدّ ذاته ولكنّه مبني على تذوقهم الخاص للأصوات، وعلى إدراكهم المتواضع (بمعيار الزمن) لكيفيات معالجة هذه الأصوات بطريق علمي دقيق من حيث الوصف والتحليل والتصنيف»([2]).

ـ وما نذكره في ختام تطرقنا لهذه النقاط التي تبين مدى تأثر الدكتور **كمال بشر** بفيلسوف اللغة **ابن جنّي**، نذكر ما صرّح به **كمال بشر** اعترافا بفضل هذا الرّجل الفذ ودوره في رقيّ الدرس الصوتي، وإعطائه صفة العلم القائم بذاته فاعتُبر أحد فروع علوم اللغة وهذا ما نجده في قوله التالي: « و بقيت الأمور على هذا النحو المحروم من الابتكار والتجديد لفترة من الزمن. حتى جاء اللغوي الفيلسوف **ابن جنّي** فأضاف ما أضاف وعمّق وفصّل وشرح وفسّر إلى أن تكاملت أعماله في هذا المضمار وعُدّت دراسة علمية ترشّح نفسها لأن تكون علماً له كيان أسسه الرجل وحدّد جوانبه يتمثّل كل ذلك في كتابه الموسوم بـ:" سر صناعة الإعراب " الذي قدم له بمقدمة رائعة تنتظم جملة المبادئ والأسس التي ينبني عليها الدرس الصوتي والتي تحدد أبعاده وجوانبه حتى يصبح علماً من علوم العربية سماه بعبقريته الفذة علم **الأصوات والنغم**»([3]).

---

[1]– كمال بشر، **علم الأصوات**، المرجع السابق، ص:453.

[2]– المرجع نفسه، ص:459.

[3]– نفسه، ص:24.

**2 ــ تأثير ابن جنّي في خليل إبراهيم العطية:**

كما تأثر الدكتور **خليل إبــراهيم العطية** بأعمـال **ابن جنّي** و ذلك مـن خلال كتابه الذي عنونه بـ " في البحث الصوتي عند العرب".

وبعد اطّلاعنا واستقرائنا لما ضمّنه **خليل إبراهيم العطية** في كتابه الذي قدّم فيه دراسة عن الأصـوات اللغـوية العـربية محاولا إعطاء حـوصلة للدرس الصـوتي في مختلف العصور ومقابلة ما تـوصل إليه الدارسـون القدامى بما أنتجه العلم الحديث في ظل تـوفـر الـوسائل والإمكانات التي لم تكن متاحة في العصـور السابقة، وممّا لا شك فيه أنّ ما كان من نتاج فكـري ومعـرفي ليُعدّ من صميم الإبداع في عصره بل وحتى في يومنا هذا، وما استوقفنا في كتاب الدكتور **إبراهيم العطية** سنقوم بتبينه في النقاط التالية.

**ــ صفات الأصوات ومخارجها:**

ـ في مسألة ترتيب الحروف أو الأصوات أورد نفس ترتيب **سيبويه** الذي جاء موافقا له ترتيب **ابن جنّي** مع قليل من الاختلاف الذي اعترف به **ابن جنّي** في كتابه "سر صناعة الاعراب" مدونة هذا البحث المتواضع، فأشار بذلك الدكتور إلى الاختلاف القائم بين الدارسين في ترتيب الحروف وهذا ما ذكره في كتابه([1]).

ـ لقد ذكر الدكتور **خليل** تعريف **ابن جنّي** للصوت والذي فرّق فيه بين الصوت والحرف، ومن خلال دراسته للتعريف وتحليله له تـوصل إلى أنّ **ابن جنّي** كان يشيـر إلى ذبذبة الـوتـرين الصوتيين بالرغم من أنّه لم يصرح بذلك، وكذلك استنتج من قـول **ابن جنّي** (أينما عـرض له حرفا)، أنّه يُـريد مخـرج الصوت، وكلّ هـذا نجـده في قـوله التالي: «ويستفاد من تحليل نص **ابن جنّي** أنّه عَنَى بالصوت ذبذبة الـوتـرين الصـوتيين، وإن لـم يصـرح بذلك بدلالة إشارته إلى كـون الصوت عرضا " يخرج مع النفس مستطيلا متصلا "، حتى يعـرض له ما يخفف مـن "اندفاعه". كما يفهـم مـن إشارته إلى " الحـرف" مقابلته لـ "مخـرج الصـوت" بدلالة قـوله "فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا"... "وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها" يعني اختلاف مخارجها، وهي حقيقة علمية يؤيدها علماء الصوت المحدثون»([2]).

---

[1]– ينظر: خليل ابراهيم العطية، **في البحث الصوتي عند العرب**، المرجع السابق، ص:27.

[2]– المرجع نفسه، ص:30.

ـ أشار **ابراهيم العطية** إلى تعريف **ابن جنّي** لصفتي الجهر والهمس بأنّه موافق لما ذكره **سيبويه** وهذا ما بيناه في المبحث الأول من هذا الفصل، حيث أشرنا إلى أنّه لم يخرج عمّا قاله سيبويه فيما ذكره من الصفات بل وحافظ على نفس التعريفات والتحديدات التي ذكرها سيبويه والذي يستوقفنا في هذا المقام أنّ ما جاء به الروّاد الأوائل من مصطلحات، لم يتمكن غيرهم من الخروج عنه ولا إغفاله حتى في العصر الحديث، وذلك أنّ دقة ملاحظتهم وتركيزهم على الظواهر التي درسوها، مكّنهم من الوصول إلى نتائج جدّ قيّمة ترقى إلى درجة العلمية، وبذلك ما كان في وسع من جاء بعدهم إلاّ اقتفاء أثرهم والسير على نهجهم في هذا المجال الخصب أمام الدارسين والباحثين.

ـ وفي حديثه عن ظاهرتي الجهر والهمس بيّن أنّ العامل الأساس في الجهر هو قوة الصوت المنبعث من الصدر، وفي ذلك إشارة لدور الرئتين في حدوث الأصوات، واللافت للنظر أنّه أشار إلى ما ذكره **ابن جنّي** في هذا الأمر، و رأى أنّه قد طوّر ما جاء به **سيبويه** وهو خروج الصوت من الصدر بإطلاقه عبارة الصدى، وهو ما يفهم من قوله:« أمّا اشارة علماء العربية إلى جريان الصوت ومَنعِهِ، فهي تأكيد لمعرفته لدور الرئتين في العملية الصوتية وإذا كان **سيبويه** قد اكتفى بالتّلميح إلى خروج الصوت من الصدر، فإنّ **ابن جنّي** طوّر هذه الملاحظة بالإشارة إلى الصدى الذي لا يخرج عن كونه إحساس المرء بذبذبات الوترين في أثناء النطق بالصوت المجهور في أثناء جريان النفس من الرئتين»([1]).

ـ كذلك نرى أنّ **ابراهيم العطية** عند حديثه عن الحركات يستشهد بآراء **ابن جنّي** في ذلك ويُشيد بما أبدعه، ويرى أنّه ممّا يوافق ما توصل إليه المحدثون في العصر الحديث، ويعتمد على القول التالي **لابن جنّي** :«الحركات أبعاض حروف المد واللين: وهي الألف والياء والواو فكما أنّ هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاثة وهي، الفتحة والكسرة والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو»([2]). وانطلاقا من هذا القول يتوصل **إبراهيم العطية** إلى أنّ ما ذكره **ابن جنّي** يؤيد ما جاء به المحدثون في دراستهم للحركات، وهذا ما أشار إليه بقوله :« وفي النص إشارة نافعة لرأي يؤيده المحدثون، فالفرق بين الفتحة وألف المد ليس غير اختلاف في كمية الصوت، وألف المد ليست إلا فتحة طويلة، وكذلك ياء

---

[1]– ابراهيم العطية، **في البحث الصوتي عند العرب**، المرجع السابق ، ص:44.

[2]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:17.

المد ليست في الحقيقة غير كسرة طويلة، وما واو المد إلاّ ضمة طويلة، و يبدو أنّهم توصلوا إلى كون الحركات أجزاء من (الحروف) عن طريق دراسة (الإشباع) الذي دعاه **ابن جنّي** (مطل الحركات) و ملاحظاتهم أنّ الضمة متى أشبعت صارت واواً، والفتحة متى أشبعت صارت ألفاً، والكسرة تصير ياء عند الإشباع»([1]).

ـ وأيضا نجد ممّا تأثّر به **خليل إبراهيم** أنّه يشير لرأيه في اعتبار بعض الكلمات الخالية من حروف الذلاقة عربية وليست مبتدعة ولا محدثة، وهذا لما أقرّه **ابن جنّي** لبعض الحروف التي يمكنها أن تحلّ محلّ حروف الذلاقة كما ذكر ذلك الدكتور **كمال بشر**، و بالتالي يعدّ حين ذاك ورودها في الكلمات أنّها عربية أصيلة ، وهذا ما أشار إليه **ابن جنّي** في قوله:« وربما جاء بعض ذوات الأربعة معرَّىً من بعض هذه الستّة، وهو قليل جدًّا، منه: العسجد، والعسطوس والدّهدقة والزّهزقة : على أنّ العين والقاف حسّنتا الحال لنصاعة العين ولذاذة مُستَمعها، وقوة القاف وصحة جرسها، ولا سيما و هناك الدال والسين، وذلك أنّ الدّال لانت عن صلابة الطاء وارتفعت عن خفوت التاء. والسين أيضا لانت عن استعلاء الصاد ورقّت عن جهر الزاي، فعذبت وانسلت»([2]). فمن خلال هذا القول استشهد الدكتور **خليل إبراهيم** على عربية كلمة العسجد، والتي يرى أنّها مخالفة للكلمات، دغسق، وضفثج، وعقجش غير العربية.

ـ ونرى أنّ **إبراهيم العطية** في مناقشته لصفتي الاستعلاء والإستفال، اعتمد على التعريف الذي ذكره **ابن جنّي** للاستعلاء، والذي استنتج منه الأصوات المستعلية لما يكون للسان عند النطق بها من استعلاء وارتفاع مؤخّرته إلى الحنك الأعلى، وهو ما جاء في قوله :« ومفهوم **الاستعلاء** عند **ابن جنّي** التصعُّد في الحنك الأعلى، وهو يريد ارتفاع مؤخرة اللسان فيها، وقد تبيّن لنا أنّ أصوات الاستعلاء التي ذكرها العرب لا تخرج عن كونها: لهوية كالقاف، أو طبقية: كالغين والخاء، و أسنانية لثوية: كالصاد والضاد والطاء والظاء وترتفع معها جميعاً مؤخرة اللسان صوب الحنك الأعلى، أشار **ابن جنّي** وسواه»([3]).

ـ تحدث **خليل إبراهيم** عن الصوت المهتوت وبيّن في ذلك اختلاف **ابن جنّي** و**الخليل** في إطلاق هذه الصفة، حيث ذكر أنّ **الخليل ابن أحمد** أوّل من استعمل هذا المصطلح وقال

---

[1]– إبراهيم العطية، **في البحث الصوتي عند العرب**، المرجع السابق، ص:51.

[2]– ابن جني، **سر صناعة الاعراب**، المصدر السابق، ج/1، ص:65.

[3]– ابراهيم العطية، المرجع نفسه، ص:57.

أنّه صفة للهمزة في حين أنّ **ابن جنّي** اعتبره صفة للهاء، وفي هذا اشارة إلى بعض الاختلاف في استعمال المصطلحات بين الدارسين وسبب ذلك اعتمادهم على الملاحظة الشخصية وبالتالي من الطبيعي أن تتباين الأفكار والنتائج.

ـ وأيضا لمّا تحدّث عن ظاهرة الإدغام وأنواعها، أشار إلى قول **ابن جنّي** التالي أنّه تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه واستنتج منه أن يريد به الإدغام الصغير وهو صريح في قوله: «فلا غرابة أن يعرف **ابن جنّي** الإدغام (ويريد به الصغير) أنّه:" تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه" وكلّ ذلك على رأي ابن يعيش لكي (يضعوا ألسنتهم على مخرج الحرف المكرر وضعة واحدة ويرفعونها رفعة واحدة)، وهذا معناه استمرار المتكلم بحبس الهواء مدّة أطول عند النطق بالصوت (المُدغم)، نزوعا لتوفير الجهد المبذول»([1]).

[1]– إبراهيم العطية، **في البحث الصوتي عند العرب**، المرجع السابق، ص:83.

# خاتمة

كان الهدف من هذا البحث هو السعي إلى تحديد وإحصاء إضافات **ابن جنّي** للدرس الصوتي، والوقوف على مواطن الجدّة فيها، وإن كان لا بد من تحديد ما استكشفته هذه الدراسة فليس أكثر من أن نوجزه في بعض النتائج والتوصيات التي أسفر عنها البحث وهي كالتالي:

**أ – النتائج:**

1- يُعدّ **ابن جنّي** أحد أهم أقطاب الدرس اللغوي عموما و الدرس الصوتي خصوصا، وله من المساهمات الجليلة القدر التي يُعتدّ بها في البحث اللغوي والعلمي، ولا يمكن لباحث أن يتجاهل هذه الاسهامات، لذلك أعتبر فيلسوف اللغة عند البعض، لما أبداه من البراعة في مناقشة جوانبها ومسائلها المختلفة، كما هو الحال في علم الصرف، والصوتيات، وفقه اللغة وغيرها.

2- أصالة الدرس الصوتي عند العرب، وهذا من خلال الاهتمام الذي أولوه الباحثون والدارسون، لهذا الفن منذ بداية الدرس اللغوي، إلى أن جاء ابن جنّي الذي تمكن من إظهاره وإعلانه حين أطلق عليه اسم "**علم الأصوات**"، وبذلك حاز قصب السبق في ريادة مجال الصوتيات بشهادة الكثير كما سبقت الإشارة إليه.

3- لقد تمكّن **ابن جنّي** من تسجيل إضافات في الدرس الصوتي لم يسبق وأن أشار اليها من سبقوه، حيث تبيّن من خلال البحث والدراسة أنّه انطلق حيث انتهى **سيبويه** وقبله **الخليل ابن احمد**، وعليه فلا يمكن أن نجزم بأن كلّ ما أتى به **ابن جنّي** جديد ولكنّ الشّروح والتحليلات التي أضافها نسبت اليه ذلك التجديد الذي عرفه "**علم الأصوات**".

4- تمكّن **ابن جنّي** بجدارة من تحديد الفرق بين الصوت والحرف أما الذين سبقوه فكانوا يستعملون المصطلحين للدلالة على المعنى نفسه، وإن كان قد حاكاهم في ذلك إلاّ أنّه استطاع أن يحدّد مميّزات وخصائص كلّ من الصوت والحرف.

5- أنّ المنهج الذي اتبعه **ابن جنّي** جعله متميزا عن غيره متفردا بعبقريته وذكائه، إذ كان يسعى دائما لإزالة الغموض واللبس عن كل ما يدرسه ويناقشه ممّا لا يدع مجالا للشك لـدى القارئ، وما نستنتجه من خلال الكثير من التعليقات والشروح التي يوردها في معرض الحديث عن مسألة ما وخاصة في علم الأصوات، حيث ينسب لنفسه ما لم يهتدي له من سبقوه في هذا الحقل.

6- إنّ ما توصل اليه **ابن جنّي** من نتائج لا يمكن حصره على عصره فقط، بل هو صالح ليومنا هذا، وذلك أنّ الكثير ممّا وصل إليه أو أشار اليه أثبته العلم الحديث ولا يزال مستعملاً ومتـداولا في عصر التقدم والتطـور التكنولـوجي، حيث يعـدّ تأكيـدا لما ذهب اليه **ابن جنّي** وحجة له لا عليه.

7- إنّ **ابن جنّي** قد تأثّر كثيراً **بالخليل** و**سيبويه**، وهذه سنة دأب عليها العلماء والباحثين من قبله ومن بعده، فنجده في كثير من الأحيان يستشهد بكلامهما، فيقره أحيانا ويؤيّده، ويرفضه أحيانا أخرى ويعارضه ويعتد برأييه ظانا فيه الصواب.

8- اعتمد **ابن جنّي** على دقة الملاحظة، والتقصـي والتحسس للوقـوف على حقيقة الظاهـرة وحيثياتها لتأكيد معلوماته واثبات صحة أفكـاره، والمُلفت للنّظـر أنّ منهجه هـذا يعتبر مـن صميـم المنهـج العلمي القائم على الاستقـراء والملاحظة والتجـريب. فكان من أوائل الذين التزموا بالمنهج العلمي منذ القديم، ومن ذلك مثلا: تذوقه للأصوات، والكيفية التي يتم بها انتاج الصوت اللغـوي، ...

9- إنّ من بين المسائل التي أضافها **ابن جنّي** للدرس الصوتي هي إنزال الحرف منـزلة الاسم، و دراسته دراسة صـرفية، حيث تمكّن من تصـريف الأصـوات واشتقاقها وجمعـها وتحديد الحالات التي يكـون فيها الصـوت أصـلاً أو زائـداً أو مبـدلاً من غيـره. كما بين ما يمكن جمعه مـن الأصـوات وما لا يمكن، وأشار إلى ثلاثة اقسام هي: جمع المتجاور والمضعف، والمتبـاعـد

10- استعمل **ابن جنّي** العديد من المصطلحات الصوتية والتي استحدثها لذلك اعتبر مؤسس هذا العلم ومن ذلك مثلا: أسماء الحروف، حروف الزيادة، الصويت، الحركات ابعاض حروف المد، فكل هذه المصطلحات وغيرها فضلا عن التسمية التي أطلقها على هـذا العلم تدل على أنّ **ابن جنّي** قد سبق الاوربيين في هذا العلم وتحديد معالمه.

وانطلاقا ممّا تم التوصل اليه من نتائج نخلص إلى أنّ **ابن جنّي** عالم من كبار علماء اللغة القدماء الذين كتبت أسماؤهم بماء الذهب لأنّهم خدموا العربية أيّما خدمة، وكان لهم الفضل في النّهوض بها وتطويرها عبر العصور، فلقد قدم **ابن جنّي** الشيء الكثير وفي كل المستويات على حدٍ سـواء، غيـر أنّه تفـرّد بإبـداعه في مسائل علم الأصـوات العام وخاصة علـم الأصـوات النطقي(الفيزيولوجي).

**ب- التوصيات:**

**1**- القيام ببحث اصطلاحي تجمع فيه المفاهيم الأساسية والمصطلحات الموجودة في كتاب "**سرّ صناعة الاعراب**" .

**2**- ضرورة الاستفادة ممّا تركه **ابن جنّي** من مؤلفات عموما و" **سر صناعة الاعراب**" خاصة كونه كتاب قيّم ضمّنه صاحبه جملة من العلوم اللغوية كعلم النحو وعلم الصرف مثلا.

**3**- السّعي إلى البحث باستمرار من أجل إحصاء الإضافات الموجودة في العديد من مؤلفات **ابن جنّي** لما لها من الأهمية في حقل الدراسات اللغوية الحديثة.

**4**- العمل على إحياء التراث المعرفي الأصيل عن طريق الاهتمام به ومقارنته بما هو متداول في عصرنا الحديث.

# فهرس المصادر و المراجع

**القرآن الكريم: رواية ورش عن نافع**

**أـ المصـادر:**

***ابن جنّي(عثمان ابي الفتح)**

1 ـ **سر صناعة الإعراب**، تح: حسن هنداوي، دار القلم دمشق، ط2، 1413هـ/1993م.

2 ـ **الخصائص**، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دط، دتا.

3ـ **المنصف في شرح التصريف**، تح: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، إدارة احياء التراث القديم، ط1، 1379هـ/1960م.

*** سيبويه(أبي بشر عمرو بن عثمان بن قمبر)**

4ـ **كتاب سيبويه**، تح: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، مصر، ط3 1408 هـ /1988م.

***الفراهيدي(الخليل بن أحمد)**

5ـ **كتاب العين**: تح: د. مهدي المخزرمي وإبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس دط، دتا.

**ب ـ المـــراجع:**

*** إبراهيم انيس**

6ـ **الأصوات اللغـوية**، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة، مصر، د ط، دتا

7- **في اللهجات العربية** ، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، مصر، دط، 2003م.

8- **اللغة بين القومية والعالمية**، دار المعارف المصرية، القاهرة، مصر، د ط، د تا.

*** الابراهيمي (خولة طالب)**

9- **مبادئ في اللسانيات**، دار القصبة ، الجزائر، د ط، دتا.

***أحمد امين**

10ـ **ظهر الإسلام**، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، مصر، ط1، دتح، 2009م.

***أحمد بن فارس بن زكريا**

11. **معجم مقاييس اللغة**، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، دط دتا.

*** أحمد بن عبد الله الامام الهمام قطب الأقطاب**

12- **رسائل اخوان الصفاء**، د ط، د تح، د ت.

*** أحمد مختار عمر**

13- **دراسات في الصوت اللغوي**، عالم الكتب، القاهرة، مصر، د ط،1418 هـ/1997م.

*** ابن الانباري (عبد الرحمن محمد كمال الدين)**

14- **نزهة الالباب في طبقات الادباء**، تح إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، لبنان-الأردن ط3، 1980م.

*** الباخرزي (علي بن الحسين بن علي بن ابي الطيب)**

15-**دمية القصر وعصرة أهل العصر**، تح د. محمد التنوخي، دار الجيل، بيروت، لبنان د ط.

***- برجستراسر**

16- **التطور النحوي للغة العربية**، اخرجه وصححه وعلق عليه د. رمضان عبد التواب دط، دتا.

*** البستاني (المعلم بطرس)**

17. **قاموس محيط المحيط**، مكتبة لبنان، بيروت، دتح، ط1870م.

*** تمـــام حسان**

18- **اللغة العربية معناها ومبناها**، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط 1994م.

*** الثعالبي النيسابوري (عبد المالك ابي منصور)**

19- **يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر**، تح و د مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية بيروت .لبنان، ط1، 1983م.

* **الجاحظ (عمر بن بحر ابي عثمان)**

20- **البيان والتبيين**، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط7، 1998م.

* **الحطيئة جرول بن أوس ابن مالك**

21- **ديوان الحطيئة**، براوية وشرح ابن السكيت، ترتيب وتبويب، مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1413هـ/1993م

* **خليل إبراهيم العطية**

22- **في البحث الصوتي عند العرب**، منشورات دار الجاحظية للنشر، بغداد، الجمهورية العراقية، 1973م، دط.

* **ابن خلكان (أحمد بن محمد شمس الدين)**

23- **وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: احسان عباس، دار صادر، بيروت لبنان،1972م

* **الخولي (محمد علي)**

24- **معجم علم الأصوات**، مطابع الفرزدق التجارية، ط1، 1402هـ/1982م.

* **ذي الرمة غيلان بن عقبة بن مسعود**

25- **ديوان ذي الرمة**، تقديم وشرح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ط1، 1415هـ/1995م.

* **الزبيدي الاندلسي (أبوبكر محمد بن الحسن)**

26- **طبقات النحويين واللغويين**، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2 1984م.

* **السامرائي (فاضل صالح)**

27- **ابن جني النحوي**، مطابع دار النذير العراق. بغداد،1969م.

* **السيوطي (عبد الرحمن جلال الدين)**

28- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تح أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت لبنان، د ط، د تح.

*** الشريف الجرجاني**

29- **معجم التعريفات**، تح ودر، محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة، دط، دتا

***الشريف الرضي(أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسن الطاهر)**

30- **ديوان الشريف الرضي**، دار صادر للطباعة والنشر1380هـ/1961م، د تح، دط.

*** الشيرازي (الفيروز أبادي)**

31 ـ **القاموس المحيط**، تح وتر، د. يحي مراد، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، مصر القاهرة، ط1، دتا.

*** عبد التواب رمضان**

32- **التطور النحوي للغة العربية**، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط2، 1994م.

*** عبد العزيز الصيغ**

33- **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية**، دار الفكر المعاصر، بيروت. لبنان، ط1 2000م.

*** العبيدي (رشيد عبد الرحمن)**

34- **معجم الصوتيات**، مركز البحوث والدراسات الإسلامية العراق، مكتبة الدكتور مروان العطية، ط1، 1427هـ/2007م

*** عبد الواحد علي وافي**

35- **فقه اللغة**، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة القاهرة، ط2، 2004م.

***عمر رضا كحّالة**

36- **معجم قبائل العـرب القديمة والحديثة**، المطبعة الهاشمية بدمشـق، د ط، د تح 1368هـ/ 1949م.

*** الفخراني (أحمد أبو السعيد)**

37- **البحث اللغوي عند اخوان الصفاء**، مطبعة الأمانة مصر، ط1، 1991م

*** قدور أحمد محمد**

38- **مبادئ اللسانيات**، دار الفكر بدمشق. سوريا، ط3، دتا.

*** القفطي (جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف)**

39- **أنباه الرواة على أنباء النحاة**، تح محمد أبو فاضل إبراهيم، دار الفكر العربي، مصر القاهرة، ط1، 1406هـ/1986م.

*** القيسي(مكي أبي محمد بن أبي طالب)**

40- **الرعاية في تجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة**، تح. د. أحمد حسن فرحات، دار عمار الأردن، عمان، ط3، 1996م.

*** كمال بشر**

41ـ **علم الأصوات**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م، دط.

42ـ **دراسات في علم اللغة العام**، دار المعارف بمصر، 1973م.

*** مجمع اللغة العربية**

43 ـ **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، ط4، القاهرة، مصر،1426هـ/2005م.

*** محمد حسن علي الصغير**

44- **الصوت اللغوي في القرآن**، دار المؤرخ العربي، بيروت لبنان، ط1، 2000م.

*** محمد سهيل طقّوش**

45- **تاريخ الدولة العباسية**، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط7 1340هـ/2009م

*** محمود السعران**

46- **علم اللغة مقدمة للقارئ العربي**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت لبنان دط.

*** المسدي (عبد السلام)**

47- **التفكير اللساني في الحضارة العربية**، الدار العربية للكتاب، ط2، 1986م.

*** المطلبي (غالب فاضل)**

48- **في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية**، منشورات وزارة الثقافة والاعلام سلسلة دراسات، الجمهورية العراقية،1984م، د ط.

*** المقدسي (محمد بن أحمد شمس الدين أبي عبد الله)**

49- **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مكتبة مدبولي القاهرة، ط3، 1991م.

***ابن منظور(ابي الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم)**

50 ـ **لسان العرب**، دار صادر، بيروت لبنان، دط، د تح، دتا.

*** منقور محمد عبد الجليل**

51-**علم الدلالة أصول ومباحث في التراث العربي**، منشورات اتحاد كتاب العرب دمشق سوريا، دط، 2001م.

***النعيمي (حسام سعيد)**

52- **الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني**، دار الرشيد للنشر العراق،دط، 1980م

*** نور الدين عصام**

53- **علم وظائف الأصوات اللغوية، الفنولوجيا**. دار الفكر اللبناني، ط1، 1992م.

**ج ـ الكتب المترجمة:**

*** ماريو باي**

54- **أسس علم اللغة**، عالم الكتب، تر وتح د. أحمد مختار عمر، ط8، 1998م.

**د ـ الرسائل الجامعية:**

*** إبراهيم الفوزان**

56- **دروس في النظام الصوتي للغة العربية**، منقولة للفائدة، جامعة الملك سعود 1428هـ/2006م.

***رضا زلاقي:**

57- **الصوامت الشديدة في العربية الفصحى(دراسة مخبرية)**: مذكرة ماجستير، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر،2006/2005م.

*** سليمان سالم علي باقشع**

58- **ابن جني وجهوده اللغوية والنحوية**، مذكرة ماجستير، جامعة العلوم والتكنولوجيا كلية العلوم الإدارية والإنسانية، جمهورية اليمن، 2010/2009م.

*** عيسى حميداني**

59- **علم الأصوات الوظيفي عند ابن جني في ضوء اللسانيات الحديثة**، مذكرة ماجستير جامعة تيارت،2006م.

*** فوزية سرير عبد الله**

60- **سرّ صناعة الاعراب في ميزان الصوتيات الحديثة دراسة مقارنة**، مذكرة ماجستير جامعة الجزائر، قسم اللغة العربية وآدابها، 2001/2000م.

**جـ ـ الدوريات والمجـــلات:**

*** حازم سليمان الحلي**

61- **ابن وآثاره في البحث اللغوي العربي**، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج84.

*** فاتن بشير عبد الاحد**

62- **تقطيع الكلمات العربية إلى أحرف وتمييزها**، مجلة الرافدين لعلوم الحاسبات والرياضيات، جامعة الموصل، مج2،ع2، 2005م.

*** فليش هنري**

63- **التفكيـر الصوتي عند العـرب في ضوء سـرّ صناعة الاعراب لابن جني**، تـر عبد الصبور شاهين، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مج 23.

*** محمد بلقاسم:**

64-**الدرس الصوتي ومصطلحاته من خلال مدخل سرّ صناعة الاعـراب لابن جني** مقال منشور في: مجلة الأثر- مجلة الآداب واللغات- جامعة ورقلة الجزائر،ع4، ماي 2005م.

**د ـ المراجع الأجنبية:**

65- Brosnahan.(f) , **Introduction to phonetics**

Cambridge.1970.p29.

66- Sapir Edward , **Language ,An Introduction to the Study of speech** New york, Harcourt,Br Company;1921 ,P:07

67- malmberg( bertil) ,**phonetics**.now york, p1963

# ملخص البحث بالفرنسية

## LES NOUVEAUTES DE IBN JINNI A L'ETUDE ACOUSTIQUE DANS SON ŒUVRE « LE SECRET DE L'ART DE L'ANALYSE GRAMMATICALE »

### RESUME DE LA RECHERCHE

La présente recherche a traité la question de la leçon acoustique chez l'un des plus grands des anciens disciples à savoir **IBN JINNI** et plus précisément son œuvre « Le secret de l'art de l'analyse grammaticale » dans lequel il a débattu sur ses contributions à la leçon acoustique et ce qu'il a ajouté à ce domaine. Il s'est basé sur la réalité de ces ajouts et leur nature. La recherche a été divisée en quatre chapitres :

**Le premier chapitre** est une sorte de biographie rapide d**'IBN JINNI** et ce dans deux sous chapitres ; le premier sous chapitre a traité la vie d'**IBN JINNI** en se basant sur sa généalogie, sa naissance, sa jeunesse, ses maitres les plus importants et ses disciples. Dans le deuxième chapitre, nous avons abordé son influence scientifique et ses œuvres. Quand au deuxième chapitre, il a trait à la méthode empruntée par **IBN JINNI** dans son étude acoustique et ce à travers deux sous chapitres, le premier aborde la méthode et la procédure suivie dans l'étude acoustique chez **IBN JINNI** ; quand au deuxième, il a trait à la classification des sons par **IBN JINNI** selon les articulations, caractéristiques et branches. Le troisième chapitre a étudié les aspects d'innovation chez **IBN JINNI**. Ce chapitre est considéré comme étant l'axe de la recherche et de l'étude. Le premier thème concerne l'étude du son en tant que phénomène acoustique et il montre la différence entre le son et la lettre ainsi que les autres aspects d'innovation. Quant au deuxième sous chapitre, il comporte l'étude des sons du point de vue morphologique, ses dérivés et déclinaisons… Dans le quatrième chapitre, il y a deux sous chapitres : le premier a trait aux prédécesseurs qui ont eu une influence sur **IBN JINNI** et le deuxième concerne les chercheurs modernes qui ont été influencés par lui.

A travers cette étude, nous avons abouti à des résultats dont les plus importants sont :

- **IBN JINNI** a apporté avec son génie beaucoup de nouveautés à la leçon acoustique et ce malgré le fait qu'il ait débuté là ou ces prédécesseurs ont achevé leurs études mais son analyse, ses explications et arguments relatifs aux phénomènes acoustiques ont fait qu'il était distingué.

-Il a réalisé un bond reconnu par la science moderne à savoir la différence entre le son et la lettre et c'est la chose la plus phénoménale parmi les choses qu'a apportées **IBN JINNI** à la leçon acoustique.

# فهرس الموضوعات

**الموضوع** **الصفحة**


شكر وتقدير

إهداء

مقدمة ..... أ

الفصل الأول: ابن جنّي وآثاره العلمية

توطئة .....01

المبحث الأول:

ترجمة ابن جنّي

1- نسبه .....02

2- مولده ونشأته .....03

3- شيوخه وتلاميذه.....06

- شيوخه.....06

- تلاميذه.....07

المبحث الثاني:

مكانته العلمية وأهم مؤلفاته

1- الحياة في عصر ابن جني.....10

2-ابن جنّي الاديب الشاعر.....14

3-وفاة ابن جنّي.....16

4-أهم مؤلفاته.....16
5-كتاب سر صناعة الاعراب.....18
ـ سبب تسميته.....18
ـ سبب تأليفه.....19
ـ أهميته.....20
ـ خصائصه.....20
أ- السهولة والوضوح.....20
ب- غزارة المادة.....20
ت- الشمولية والاستقصاء.....21

## الفصل الثاني: منهج ابن جني في دراسة الأصوات وتعريفها و تصنيفها

توطئة.....22

### المبحث الأول:

### طريقة دراسة الأصوات والحروف عند ابن جني وتعريفها

1-طريقته في دراسة الأصوات والحروف.....23
ـ ترتيب الحروف.....23
ـ أحوال حروف المعجم.....24
ـ الاصالة والزيادة.....24
ـ تقسيم الحروف الى فروع.....25
ـ مراتب الحروف في الاطراد.....26
ـ مخارج الحروف والاصوات وأقسامه.....26
ـ أحوال مخارج الحروف.....26
ـ تخصيص كل حرف بدارسة في باب خاص....26
2-الصوت والحرف وأهمية جهاز النطق.....30

أـ الصوت والحرف في بعض المعاجم والكتب اللغوية..30
ب ـ الصوت والحرف عند ابن جني.....32
ج ـ جهاز النطق.....34
د ـ الأعضاء المكونة لجهاز النطق.....36
ـ الصدر.....36
ـ الحلق.....37
ـ اقصى اللسان.....37
ـ مقدم الفم.....37
ـ اللسان واجزاؤه.....38
ـ الاسنان.....38
ـ الشفتان.....39
ـ الخياشيم.....39
هـ ـ مخارج الأصوات الحروف عند ابن جني.....40
ـ تعريف المخرج.....40
الحيز الأول وهو الحلق.....42
الحيز الثاني.....42
الحيز الثالث.....43
الحيز الرابع.....44

## المبحث الثاني:

## تصنيف ابن جني للأصوات

1-تصنيف الأصوات والحروف حسب مخارجها.....46
2-تصنيف الأصوات والحروف حسب صفاتها واجناسها...46
أ ـ الصفات الثنائية.....47
ـ الجهر/الهمس.....47

ـ الشدة/الرخاوة.....48
ـ الاطباق/الانفتاح.....49
ـ الاستعلاء/الانخفاض.....50
ـ الصحة /الاعتلال.....50
ـ الحركة/السكون.....51
ـ الاصل/الزيادة.....51
ب ـ الصفات المفردة.....52
ـ الحرف المنحرف.....52
ـ الحرف المكرر.....53
ـ الحرف المهتوت.....54
ـ الحروف المشربة.....54
حروف شديدة الحفز (حروف القلقلة) .....54
حروف متوسطة الحفز.....55
حروف لم تضغط ولم تحفز.....55
ـ حروف الذلاقة.....56
ـ الحروف المصمتة.....56
3-تصنيف الأصوات والحروف حسب فروعها.....57
أ ـ الفروع المستحسنة.....58
ب ـ الفروع المستقبحة.....58

الفصل الثالث: مظاهر التجديد عند ابن جنّي

توطئـة.....59

المبحث الأول:

الدراسة الصوتية للأصوات والحروف

1-الصوت /الحرف.....60
2-تذوق الأصوات لتحديد مخارجها.....63
3-تشبيه الحلق والفم ببعض الآلات الموسيقية.....67
أ ــ تشبيه الحلق والفم بالناي.....68
تعريف الناي.....68
ب ــ تشبيه الحلق بوتر العود.....70
تعريف آلة العود.....70
4-الحركات ابعاض حروف المد.....71
5-مرتبة الحركة من الحرف.....74

## المبحث الثاني:

## الـدراسة الصـــرفية للأصـوات

1-تصريف الحروف واشتقاقها.....78
2-ما يجوز مزجه وما يمتنع.....82
أـ تأليف المتجاور من الحروف في المخرج.....83
ـ حروف الحلق الستة.....83
ـ حروف أقصى اللسان.....83
ب ــ تأليف المضعّف.....84
ج ــ تأليف المتباعد في المخرج.....85

## الفصل الرابع: تأثر ابن جني بالسابقين وتأثيره في اللاحقين

توطئـــة.....86

## المبحث الأول:

## تأثر ابن جنّي بالسابقين

1-تحديد عدد الحروف.....87
2-ترتيب الحروف.....87
3-مخارج الحروف.....88
4-صفات الأصوات.....88
الشدة/ الرخاوة.....89
الجهر / الهمس.....89
الاطباق/الانفتاح.....89
الحرف المنحرف.....90
الحرف الهاوي.....90
الحرف المكرر.....91
الحروف المتفرعة.....91
حروف الذلاقة.....92
مرتبة الحركة من الحرف.....93
تذوق الأصوات.....93
الادغام.....94

## المبحث الثاني:

## تأثير ابن جني في اللاحقين

1- تأثير ابن جنّي في كمال بشر.....96
أ ـ الأصوات ومخارجها.....96
ب ـ أنواع الحركات واقسامها.....101

2- تأثير ابن جنّي في خليل إبراهيم العطية
صفات الأصوات ومخارجها.....104

## خـــاتمـــة

**خاتمة**.....108

## فهـرس المـصادر و المـراجع

فهرس المصادر والمراجع.....111

## ملخص البحث بالفرنسية.....119

## فهـــرس المـوضوعـات

فهرس الموضوعات.....121